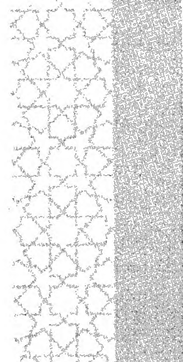
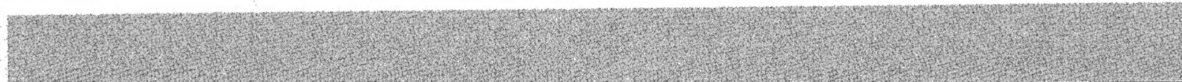
الغلو في الدين - المفهوم - الأسباب - الآثار
في ضوء الكتاب والسنة

د. إبراهيم بن علي الحسن
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

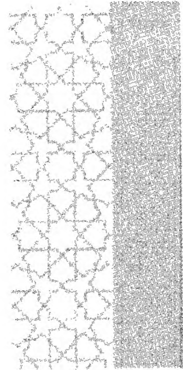



الغلو في الدين - المفهوم - الأسباب – الآثار: في ضوء الكتاب والسنة

د. إبراهيم بن علي الحسن
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

كثرت الدراسات والبحوث العلمية حول موضوع الغلو إلا أنه قد قوى من عزيمتي وشد من أزري على دراسة هذا الموضوع عدة أمور منها: أن أكثر الدراسات التي اطلعت عليها تركز على جانب التأصيل ووقاية الأمة، وتحصين الشباب، وتحذيرهم من الوقوع في هذا الداء، وقد حرصت أن يكون هذا البحث خطابا لمن ابتلي به، وعلاجا لمن سقط في أوحاله، ولم أغفل عن جانب الوقاية والتحذير. ومنها تجدد الأهواء، واستمرار الأسباب التي تؤجج مشاعر الشباب، وتسعر نار الغلو، مع ما تواتر من علاقة أعداء أهل السنة بفتن التكفير، وأن هناك من يعمل خلف الأستار لإيجاد الفتنة، وشق الصف في هذه البلاد – أعني بلاد الحرمين – مما يحتم على كل ناصح قادر أن يدلي بدلوه، ويعرض ما يراه مناسبا لدرء الفتنة، وحماية الملة، ونصح الأمة. ومنها أن لدى بعض الغلاة مهارة في الاستدلال على نزعتهم، وتصيد الشبه من متشابه النصوص، وإيهام المتلقي عنهم صحة تطبيق النصوص على الواقع. كما أن هناك صعوبة التعامل مع من ابتلي بهذا الداء، فهو يُضيّق دائرة من يتلقى العلم عنهم، ويحصرها فيمن يتفق معه في هواه، ثم إن من ابتلي بالغلو لا يتورع من وصم من يخالفه بالكفر أو الخيانة، أو الضعف والجبن، أو حب الدنيا، أو الجهل بالواقع، ونحو ذلك من عيوب تمنعه من قبول الحق، وتحمي توجّهه الغالي، والشبهات التي استند إليها في معتقده. وحرصا على إيصال الحق بدلائله وبراهينه إلى كثير من الذين ابتلوا بهذا الداء، أو اغتروا بشبهاته، وحماية لشباب هذه الأمة من آثاره وأضراره، كتبت حول هذا الموضوع بعنوان: الغلو في الدين في ضوء الكتاب والسنة – المفهوم –الأسباب – الآثار. وقد جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[٣]. أما بعد:

فإن الله قد أخذ العهد على الذين أوتوا العلم بأن يبينوا الحق ولا يكتموه، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن: " الدين النصيحة " قالها ثلاثا، ولما سئل لمن يا رسول الله ؟ قال: " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "[٤] ولذا يجب على من رزق علما أن يبذل جهده فيما تبرأ به الذمة، وتنتفع به الأمة، ويتم به النصح.

وقد ابتُليت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل بالغلو والغلاة، ولا يخفى أن الغلو من الموضوعات الخطيرة، التي يتعدى أثرها إلى الدين والدنيا، وإلى الحاضر والمستقبل ولا يقتصر أثره على الشخص نفسه، بل يتعدى ضرره إلى غيره، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن بعض الغلاة: (كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم)[٥].

وقضية الغلو من القضايا المشكلة، ومن الفتن المعقدة، ويظهر ذلك فيما يلي:

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

٢. سورة النساء، الآية: ١.

٣. سورة الأحزاب: الآية: ٧٠، ٧١.

٤. رواه مسلم كتاب الإيمان، ح(٥٥)(٧٤/١) ورواه البخاري معلقا، كتاب الإيمان(٣٨/١).

٥. منهاج السنة (٢٤٨/٥).

١- أن الغلو في الدين قد يلتبس – عند من لا بصيرة له – بحقائق شرعية وتعاليم إسلامية ربانية، كالزهد والورع، والجهاد في سبيل الله، والغضب لله، والغلظة على أعداء الله، والبراءة من الكفار.

إن التباس الغلو بالحقائق الشرعية نحو التباس السخاء بالإسراف، والاقتصاد بالبخل، والشجاعة بالتهور، والتعقل بالجبن... ونحو ذلك من معاني نفسية، تذم إذا جاوزت حدها الممدوح شرعا وعقلا وعرفا.

ولهذا يحتاج المسلم إلى علم وبصيرة، وتعقل وأناة، وارتباط بعلماء ربانيين، ذوي علم بحدود الله، وتجربة بمداخل الشيطان، وبصيرة بمضلات الفتن، وتلبيس الأهواء، مع اتزان الشخصية، والسلامة من الاضطرابات النفسية، حتى يميز بين الغلو المذموم، والاستقامة المحمودة.

٢- أن بعض الغلاة وأئمة الابتداع يظهر عليهم الخشوع والزهد والتعبد وقوة التحمل، والشجاعة، وهذا يجعل غير البصير يغتر بمظاهرهم، قال الأوزاعي – رحمه الله –: (بلغني أن من ابتدع بدعة خلاه الشيطان والعبادة، وأبقى عليه الخشوع والبكاء لكي يصطاد به)[١].

٣- أن العمل أو الاعتقاد قد يكون مشروعا، وإنما يتسلل الغلو من جهة تطبيقه أو حمل الناس عليه، أو الحكم على ترك المشروع، أو فعل المحظور، بأحكام لا توافق أحكام الشريعة، كالجزم بأن الجهاد فرض عين في حادثة عين، ثم تضليل من تركه وكالحكم على كل من ظهر منه موالاة كفار، أو حكم بغير ما أنزل الله، بالكفر الأكبر، دون اعتبار لتفصيل أهل السنة، أو مراعاة لموانع التكفير، من جهل أو إكراه أو خطأ أو تأويل، ودون اعتداد باتفاق أهل السنة والجماعة على أنه لا تلازم بين فعل أو قول الكفر، وبين كفر المعين[٢].

٤- أن بعض الغلاة ذوو نيات حسنة، ومقاصد نبيلة، ودافعهم نحو الغلو هو الغيرة على الدين، والغضب لله، وهذا يمكِّن لهم في قلوب العامة، ويعزز موقفهم عند الشباب

---

١. الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٤٩).
٢. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٧٨/١٢).

ولاسيما من يرون أن السير على مناهج الأنبياء في التغيير، ومراعاة سنن الله الشرعية وعدم مصادمة سننه الكونية - بطيء النتائج، قليل الثمرة.

٥ - أن لدى بعض الغلاة مهارة في الاستدلال على نزعتهم، وتصيد الشبه من متشابه النصوص، وإيهام المتلقي عنهم صحة تطبيق النصوص على الواقع، وخاصة ما يتعلق بجعل الأدلة النازلة في الكافرين تنطبق على آهل القبلة، ممن يخالفهم في أهوائهم، أو كان عنده خطأ أو تأول، وما أحرى المسلم اليوم أن يتأمل في فقه الصحابة -رضي الله عنهم - إذ لم يغ تروا بتز هد ال خوارج، واجت هادهم في الطا عة، ف في صحيح البخاري: (وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[1].

٦ - صعوبة التعامل مع من ابتلي بهذا الداء، فهو يُضيّق دائرة من يتلقى العلم عنهم، ويحصرها فيمن يتفق معه في هواه، كما هو شأن غلاة أهل الكتاب المذكورين في قول الله تعالى خبراً عنهم: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[2]، وقد صح عن أوائل غلاة هذه الأمة أنهم قالوا لما جاءهم ابن عباس - رضي الله عنهما - مجادلا لهم: (لا تحدثوه)[3].

ثم إن من ابتلي بالغلو لا يتورع من وصم من يخالفه بالكفر أو الخيانة، أو الضعف والجبن، أو حب الدنيا، أو الجهل بالواقع، ونحو ذلك من عيوب تمنعه من قبول الحق، وتحمي توجّهه الغالي، والشبهات التي استند إليها في معتقده.

وحرصا على إيصال الحق بدلائله وبراهينه إلى كثير من الذين ابتلوا بهذا الداء، أو اغتروا بشبهاته، وحماية لشباب هذه الأمة من آثاره وأضراره، كتبت حول هذا الموضوع بعنوان: الغلو في الدين في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم - الأسباب - الآثار. وقد جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وهي ما بين أيدينا.

---

١. صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتال الخوارج(١٣)(٢٩/٩).
٢. سورة آل عمران، الآية: ٧٣.
٣. رواه عبد الرزاق في المصنف ح(١٨٦٧٨)(١٥٨/١٠) والطبراني في المعجم الكبير(٢٥٧/١٠) و قال الهيثمي في مجمع الزوائد ح(١٠٤٥٠)(٣٥٩/٦): رجاله رجال الصحيح.

المبحث الأول: مفهوم الغلو.

المبحث الثاني: أسباب الغلو.

المبحث الثالث: آثار الغلو.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

أما العلاج فقد جعلته في بحث مستقل ، حتى لا يتضخم البحث فيستثقله الشباب، ولأن العلاج هو الثمرة المقصودة، ويحسن أن يطلع عليه من لا جلد عنده على القراءة.

ولا يخفى على مطلع على الساحة الثقافية والعلمية كثرة الدراسات حول هذا الموضوع، وتعدد المشارب في طرقه، وقد قوى عزيمتي على دراسة هذا الموضوع ما يأتي:

١- أن أكثر الدراسات التي اطلعت عليها تركز على جانب التأصيل ووقاية الأمة، وتحصين الشباب، وتحذيرهم من الوقوع في هذا الداء، وقد حرصت أن يكون هذا البحث خطابا لمن ابتلي به، وعلاجا لمن سقط في أوحاله، ولم أغفل عن جانب الوقاية والتحذير.

٢- تجدد الأهواء، واستمرار الأسباب التي تؤجج مشاعر الشباب، وتسعر نار الغلو مع ما تواتر من علاقة أعداء أهل السنة بفتن التكفير، وأن هناك من يعمل خلف الأستار لإيجاد الفتنة، وشق الصف في هذه البلاد - أعني بلاد الحرمين - مما يحتم على كل ناصح قادر أن يدلي بدلوه، ويعرض ما يراه مناسبا لدرء الفتنة، وحماية الملة، ونصح الأمة.

٣- ارتباطي العميق بالشباب بحكم عملي عضو هيئة تدريس منذ بدايات الغلو في بلادنا، وإمام جامع منذ ما يزيد على عشرين عاما، ومشرفا على المكتب التعاوني للدعوة بشرق الرياض، وقد كلفني المكتب بمتابعة حالة الغلو والتكفير في الأحياء المسؤول عنها، والالتقاء بمن يتهم بذلك من الشباب، وإعداد استراحة لجذبهم، وكل ذلك هيأ لي تصورا لكثير مما يدور في أذهان الشباب، ويقود إلى الغلو.

٤- حاجة الشباب إلى كتيب متوسط الحجم، سلس الأسلوب، سهل العبارة، يخاطب القلوب والعقول معا، وقد حرصت على تحقيق ذلك، وأرجو أن أكون حققت ما رمت، ووصلت إلى ما قصدت.

ونظرا لحساسية الموضوع، وطبيعة المستهدَف، فقد حرصت على ذكر أقوال السابقين، وركزت على أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وأئمة الدعوة

السلفية –رحمهم الله– لاعتقادي بأنهم تلقوا نصوص الوحيين بقبول حسن وسلموا من الهوى في تفسيرها، ولثقة شباب الأمة بهم، وتلقي أقوالهم بالقبول.

منهجي في البحث:

يمكن تلخيص المنهج الذي سرت عليه بأنه استقرائي وصفي، وفق النقاط التالية:

١- حرصت أن يكون البحث معتمداً على ما ورد في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، متفقا مع معتقد أهل السنة، ومنهجهم في الوسطية.

٢- اعتمدت على الأحاديث الصحيحة والحسنة وإذا ذكرت حديثا مختلفا في ضعفه فإني أبين علته وقد خرّجت الأحاديث مقتصراً على مايحقق المقصود وهو بيان درجة الحديث فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اقتصرت على ذلك وإلا ذكرت بعض من خرّجه مفضلاً من نص على صحته

٣- التزمت ترقيم الآيات، وعزوها إلى سورها.

٤- اعتمدت في مجمل البحث على مصادر أصيلة، وأمهات كتب معتبرة عند العلماء، ويستثنى من ذلك مواضع يسيرة، في قضايا معاصرة، فبعض مؤلفيها مجاهيل بالنسبة لي، لكن فيما لا علاقة له بأمور الشريعة، ومواطن الاعتقاد

٥- حرصت على الاختصار في مجمل البحث، وقد أطنب في بعض المباحث؛ لاعتقادي أن الحاجة تقتضي ذلك؛ وأن تمام البيان يستلزم الاستطراد والتفصيل.

٦- حرصت أن يكون هذا البحث مرتبطاً بالواقع، وعلاجاً لقضايا معاصرة، وخطابا لكافة القراء وليس للنخبة المثقفة وأسأل الله أن أكون حققت بعض ماحرصت عليه. وبعد:

فقد اجتهدت في إخراج هذا البحث، المرتبط بكتاب الله، مع ما يكتنف ذلك من حرج، ووجوب تحرٍّ للصواب؛ حتى لا يقال على الله بغير علم، ثم هو مرتبط بحياة الناس ودينهم وعقائدهم، مع ما في ذلك من حساسية، وما عسى أن يكون له من أثر إيجابي أو سلبي.

وحسبي أني بذلت جهدي، نصحاً لكتاب ربي، وبرًّا بأبناء ملّتي، فإن كنت وفِّقت فمن الله، وله الحمد، وإلا فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله.

هذا، والله المسؤول أن يجعل هذا البحث مفتاح خير، مغلاق شر، خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به في الدنيا والآخرة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الغلو

الألفاظ أوعية المعاني، وحاملة المفاهيم، التي يسعى المتكلم إلى إيصالها إلى غيره، ولذا لا بد من الاتفاق على دلالة اللفظ، حتى يكون همزة الوصل بين المتكلم والمخاطب وإلا وقع خلاف أو اضطراب أو سوء فهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :(إن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة، ومعاني مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره، فضلا عن أن يعرف دليله)[1] وتظهر أهمية تحرير الألفاظ، وبيان مراد الشارع بها إذا علم أن دلالة اللفظ تتغير عند فئات من الناس، لأسباب معلومة عند المعنيين بنشوء اللغات وتطورها، ومن أبرز تلك الأسباب التباس الحقيقة الشرعية بالحقيقة الاصطلاحية أو العرفية[2]، فكثير من الناس ينشأ على اصطلاح محدث عرفا، أو عن طريق تواطؤ أهل فن عليه، ثم يجد تلك الألفاظ في نصوص الشرع، أو في كلام علمائه، فيعتقد أن المراد واحد، مع أن مراد الشارع خلاف ذلك[3].

و قد عانت الأمة الإسلامية قديما و حديثا من جراء تشابه المعاني، وإجمال المصطلحات، وعدم تحريرها عند البعض، وجهل كثير من الناس بمراد الشارع بها، فيستغل ذلك أصحاب الشبهات وأعداء الحق، ويروجون لباطلهم، ويجوسون خلال العقول والأفئدة، ويعيثون فيها فسادا، ويسعون لتحقيق مآربهم من ناحيتين:

١- استعمال الألفاظ الشرعية في غير مراد الشارع، إذ تُفرَّغ من معانيها الشرعية وتلبس معاني أخرى يقصدها المبطل، ثم يقاد المعظم للنصوص بالدليل الشرعي إلى الباطل.

ومن أبرز الأمثلة لذلك تسمية المعتزلة نفي الصفات توحيدا، ونفي القدر عدلا، وتسمية المتصوفة أذواقهم ومواجيدهم حقيقة وعلما لدنيّا، ورقصهم وطربهم تعبدا

---

١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/١١٤).
٢. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/١١٥) والمدخل الفقهي العام (٢/٨٧٨) وقواعد
٣. الترجيح عند المفسرين (٢/٣٧).
٤. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/٣٥٥).

وذكرا، وهكذا سائر المبطلين، يُلبسون باطلهم لبوسا شرعيا يخدعون به من يحسن الظن بهم.

٢- لمز المخالف لهم، المستمسك بالحق، بأوصاف سوء يكرهها الشارع. كادعاء أن إثبات الصفات تشبيه وإثبات القدر جبر، و عدم الغلو في آل البيت نصب، والاستمساك بنصوص الكتاب والسنة وسائر الأدلة الشرعية حشو... الخ.

وبمثل هذا وذاك خدع من لا بصيرة له، وجر إلى الباطل من حيث لا يدري.

وعلى ضوء ما سبق تتبين أهمية الوقوف على معنى الغلو في الكتاب والسنة وتحرير المراد بهذا اللفظ، لئلا يدخل فيه ما ليس منه، فيحارب الحق لإلباسه لبوس الباطل، أو يخرج منه ما هو من صميمه، فيرتكب الباطل، وتنتهك الحرمات باسم الغيرة لله، والغضب لشرعه، والانتصار لدينه.

ومن فضل الله على المسلمين أن جعل لهم مرجعا عند الاختلاف، ومفزعا عند تشابه الأمور، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1] فعلق الإيمان بالله واليوم الآخر على الرد إلى الله ورسوله، عند الاختلاف والتنازع، وبين أن ذلك هو الخير في الحاضر، والأحسن في المآل، وقد بين العلماء أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وان الرد إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته[2].

وبناء على ما سبق فإن الكتاب والسنة هما المرجعان اللذان يعول عليهما، لبيان حقيقة الغلو، والمراد به، لا على ما تهواه الأنفس، أو تقتضيه العقول، أو تمليه المؤثرات الخارجية، أو ردود الأفعال لظلم أنظمة، أو تسلط عدو، أو ما يتوهم أنه مخالف لوسطية الإسلام للجهل بحقيقتها.

وحرصا على وضوح حقيقة الغلو، وعدم التباسه على شباب الأمة، أو إلباسه لبوس الحق ممن في قلبه هوى أو مرض، أو ابتلي بإفراط أو ردة فعل، أو استغلاله في رد الحق،

---

١. سورة النساء، الآية ٥٩.

٢. انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٤) والبغوي (٢/ ٢٤٢) والموافقات للشاطبي (٤/ ١١) وإعلام الموقعين (١/ ٤٧).

والصد عن دين الله، تحت ستار محاربة الغلو، وحماية الأمة من أخطاره –من أجل هذا وذاك رأيت أن يكون مسار هذا المبحث وفق الفقرات التالية:

أولا –معنى الغلو في اللغة.

ثانيا –معنى الغلو في الشرع.

ثالثا –نظائر الغلو.

رابعا –الألفاظ المضادة للغلو.

خامسا –ما يلتبس بالغلو.

أولا – معنى الغلو في اللغة:

لا شك أن اللغة مصدر رئيس من مصادر معرفة مراد الشارع بالألفاظ، وإن كانت اللغة لا تستقل بذلك، إذ إن الشارع قد يخصص اللفظة، أو يضيف إليها شرائط أو أوصافا كالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج، ونحو ذلك من المسميات الشرعية ذات المدلول الجديد الذي لا تعرف اللغة تفاصيله وأبعاده، وشرائطه وأوصافه[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:(تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة ؟ أو إنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة، لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء ؟... والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة)[2] وبهذا يتبين أن الشرع لم يقطع الصلة بين المعنيين، بل أبقى روابط بين الاسم الشرعي والاسم اللغوي، مما يعطي أهمية لمعرفة المعنى اللغوي، قال شيخ الإسلام:(... فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني)[3].

وقال الإمام الشاطبي:(فمن أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة)[4].

---

١. انظر: الصاحبي، ص٧٨.
٢. الإيمان ص:٢٨٣.
٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٦/٧).
٤. الموافقات (٥٠/٢)

إن مادة " الغلو " بمختلف اشتقاقاتها واستعمالاتها تدل في اللغة على مجاوزة ومبالغة، وتعد للحد والمقدار. قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر، يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاء وذلك ارتفاعه وغلا الرجل في الأمر غُلُواً، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غَلْواً، إذا رمى به سهما أقصى غليته)[1].

وفي تهذيب اللغة:(غلا السعر غلاء، ممدود، وغلا في الدين يغلو غُلُواً: إذا جاوز الحد... والمغالي بالسهم: الرافع يده يريد به أقصى الغاية... ويقال للشيء إذا ارتفع وزاد: قد غلا)[2].

وقد ذكر ابن منظور عددا من استعمالات مادة " غلا " ثم قال: (وكله من الارتفاع والتجاوز... وإنما اشتق من الغلو الذي هو التجاوز لقدر ما يجب، وهو عندهم أفحش من التعدي)[3].

ثانيا – معنى الغلو في الشرع:

أ – معنى الغلو في القرآن:

ورد لفظ " الغلو " في موضعين من كتاب الله، أولهما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾[4].

والموضع الثاني في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[5].

والجدير بالتنبيه أن في الآيتين تحذيرا من الغلو، وتنفيرا من مسالك الغلاة من عدة وجوه منها:

١ – أن الغلو قول على الله بغير حق، مهما حسنت نية صاحبه ونبل قصده ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾.

٢ – أن الغلو في الدين باطل مجانف للحق: ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾.

٣ – أن الغلو في الدين اتباع للهوى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ ﴾.

---

١. معجم مقاييس اللغة (غلوى) (٣٨٧/٤)

٢. تهذيب اللغة (غلا) (١٩٠/٨–١٩٣)

٣. لسان العرب (١٣٢/١٥–١٣٣)

٤. سورة النساء، الآية ١٧١.

٥ سورة المائدة، الآية ٧٧.

٤ – أن هناك فئة ضالة تدعو إلى الغلو، وتزينه، وتلبسه لبوس الحق: ﴿ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾.

٥ – أن من جاراهم ضل في نفسه، وأضل غيره: ﴿ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾.

وبعد بيان شناعة الغلو في القرآن الكريم، يحسن ذكر عبارات المفسرين على اختلاف طبقاتهم وعصورهم، في معنى قوله تعالى: ﴿ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ حتى يتبين مراد الله بذلك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (جمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين)[١].

فمن أقوال المفسرين:

١– قال عبد الرحمن بن زيد: (الغلو: فراق الحق، وكان مما غلوا فيه أن دعوا لله صاحبة وولدا)[٢].

٢ – وقال قتادة: (" لا تغلوا في دينكم ": لا تبتدعوا)[٣].

٣ – وقال أبو عبيدة: (" لا تغلوا في دينكم ": من الغلو والاعتداء: كل شيء زاد حتى يجاوز الحد)[٤].

٤ – وقال ابن جرير الطبري: (" لا تغلوا في دينكم " يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتُفْرِطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق ... وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده، يقال منه في الدين: قد غلا يغلو غُلُوّاً)[٥].

٦ – وقال الراغب الأصفهاني: (الغلو: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر: غلاء، وإذا كان في المنزلة والقدر: غُلُوّ، وفي السهم: غَلْو، وأفعالها جميعا غلا يغلو)[٦].

٧ – وقال ابن عطية: (خاطب تعالى أهل الكتاب من النصارى بأن يدَعوا الغلو، وهو تجاوز الحد... وقوله تعالى: " في دينكم " إنما معناه: في الدين الذي أنتم مطالبون به... وليست الإشارة إلى دينهم المضلل، ولا أمروا بالثبوت عليه من دون غلو، وإنما بترك الغلو في دين الله على الإطلاق)[٧].

---

١. مقدمة في أصول التفسير: ص ٤٤.
٢. الدر المنثور (٥/٣٩٣).
٣. المصدر السابق، الموضع نفسه.
٤. مجاز القرآن (١/١٤٣).
٥. تفسير الطبري (٩/٤١٥).
٦. المفردات (غلا) (ص: ٣٦٤).
٧. المحرر الوجيز (٢/١٣٩).

٨ – وقال القرطبي: (قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم "نهي عن الغلو والغلو: التجاوز في الحد...ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلوا النصارى فيه حتى جعلوه ربا. فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذلك قال مطرف بن عبد الله[١]: " الحسنة بين سيئتين ")[٢].

٩ – وقال جمال الدين القاسمي:﴿ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: لا تتجاوزوا الحد في تعظيم عيسى وأمه، وترفعوه ما عن رتبته ما إلى ما تقوّلتم عليه ما من العظيمة...والغلو نقيض التقصير، ومعناه: الخروج عن الحد، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير)[٣].

١٠ – وقال محمد الطاهر ابن عاشور: (الغلو: تجاوز الحد المألوف، مشتق من غَلْوة السهم، وهي منتهى اندفاعه، واستعير للزيادة على المطلوب في المعقول أو المشروع في المعتقدات والإدراكات والأفعال، والغلو في الدين: أن يظهر المتدين مايفوت الحد الذي حدد له الدين، ونهاهم عن الغلو لأنه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصادقين.

وغلو أهل الكتاب: تجاوزهم الحد الذي طلبه دينهم منهم، فاليهود طولبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم، فتجاوزوه إلى بغضة الرسل كعيسى و محمد – عليهما السلام – والنصارى طولبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه إلى دعوى إلهيته، أو كونه ابن الله، مع الكفر بمحمد – صلى الله عليه وسلم –)[٤].

هذه أقوال بعض المفسرين في مختلف العصور، وتباين المناهج، وهي تدل على اتفاقهم على أن الغلو تجاوز حد الدين، والمبالغة التي تخرج المتدين عن الصراط المستقيم، لكن بعضهم أفاد أن الغلو كما يطلق على الإفراط فهو يطلق على التفريط والتقصير في الدين، وبناء على ذلك: فالغلو عندهم: مجاوزة حد الدين بإفراط أو تفريط، وبزيادة أو نقصان، وبتنطع أو جفاء.

---

١. هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، تابعي ثقة ذو فضل وأدب وورع. توفي سنة ٩٥ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/١٥٨).
٢. الجامع لأحكام القرآن (٦/٢١).
٣. محاسن التأويل (٦/٢١٠٦).
٤. التحرير والتنوير (٦/٥٠).

وبما أن هذا البحث يُعنى بغلو الإفراط والتنطع، وهو ظاهر في النصارى حتى قال القاسمي في الآية الزاجرة عن الغلو:(الأقرب للسباق، الداحض لشبهات النصارى أن تكون هذه الآية فيهم)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:(والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن)[2]، لذلك يحسن ذكر أوجه الغلو عندهم التي ذكرت في القرآن، وهي ثلاثة:

١- غلو في الاعتقاد، وذلك قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3]، و قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾[4]وقولهم:﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[5].

٢- غلو في الطاعة، إذ ادّعوا العصمة لأحبارهم ورهبانهم ، فاتبعوهم في كل ما يقولون، وإن كان خطأً وضلالا، قال تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[6]، وقد جاء في الأثر ما يبين أن هذه الربوبية إنما هي شرك في طاعتهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام[7].

٣- غلو في العمل والعبادة، قال تعالى:﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾[8]قال الراغب:(الرهبانية: غلو في تحمل التعبد من فرط الرهبة)[9] وقال ابن الجوزي:(هي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب، والملبس والنكاح، والتعبد في الجبال)[10].

وعلى المسلم الحذر من الوقوع في شَرَك التشبه بهم، وليعلم أنه ما من نقيصة وقع فيها أهل الكتاب إلا ويوجد من أمة محمد من سيقع فيها ، بدلالة قول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: " لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى

---

١. محاسن التأويل: (٦/٢١١٠).
٢. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٩/١).
٣. سورة المائدة ، الآية ٧١ .
٤. سورة المائدة ، الآية ٧٣ .
٥. سورة التوبة ، الآية : ٣٠ .
٦. سورة التوبة: ٣١ .
٧. انظر: سنن الترمذي، كتاب التفسير، ح(٣٠٩٥)(٢٧٨/٥) وتفسير الطبري(٢٠٩/١٤).
٨. سورة الحديد ، الآية : ٢٧ .
٩. المفردات (رهب): ص: ٢٠٤ .
١٠. زاد المسير (١٧٦/٨).

لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم". قلنا: يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال: "فمن؟!"[1].

ب – معنى الغلو في السنة:

ورد لفظ الغلو في السنة بناء على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث في ثلاثة أحاديث هي:

١– حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: غداة جمع: "هلمَّ القط لي". فلقطت له حصيات، هن حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: "نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم الغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"[2].

وقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث فقال: (" وإياكم والغلو في الدين" عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾" وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه. فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك، بناء على أنه أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى)[3].

وقال الحافظ ابن حجر: (أما الغلو فهو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد. وفيه معنى التعمق)[4].

وبناء على هذا الحديث فإن الغلو يكون في الأعمال، كما هو ظاهر من سبب الحديث ويكون في الاعتقادات والأخلاق، والمواقف من الآخرين، والحب والبغض والولاء والبراء،

---

١. رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٢٤٦)(٣٢٥/٤) ومسلم كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود...ح (٢٦٦٩)(٢٠٥٤/٤) واللفظ له.
٢. رواه أحمد في المسند(٣٥٠/٣) والحاكم في المستدرك(٤٦٦/١) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي، كما صححه شيخ الإسلام، وقال على شرط مسلم، انظر: اقتضاء الصراط (٣٢٨/١) وهو الصواب إذ إن رجاله رجال الشيخين غير زياد بن الحصين فمن رجال مسلم. انظر تهذيب التهذيب(٣١٩/٣).
٣. اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٨/١).
٤. فتح الباري (٢٧٨/١٣).

وسائر الأحوال، استدلالا بعموم اللفظ، وعلى المرء أن لا يستخفه كون أصل الاعتقاد والعمل والحال مشروعا حتى يعرضه على هدي سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – فلا يزيد فيغلو، ولا يقصر فيجفو.

٢ – حديث عبد الرحمن بن شبل[1] –رضي الله عنه– قال سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول : " تعلموا القرآن، فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به "[2].

قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:("غير الغالي فيه ": بالجر، أي: غير المجاوز عن الحد لفظا ومعنى كالموسوسين والشكاكين أو المرائين، أو الخائن في لفظه بتحريفه كأكثر العوام، بل وكثير من العلماء، أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة، " ولا الجافي عنه "، أي: وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته، وإحكام قراءته وإتقان معانيه، والعمل بما فيه، وقيل: الغلو: المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى.

والجفاء أن يتركه بعد ما علمه لا سيما إذا كان نسيه، فإنه عُدّ من الكبائر)[3].

وقوله:"لا تجفوا عنه": قال السندي:(مِن جفا عنه: إذا بعد، أي: لا تبعدوا عن تلاوته ولا تغلوا، بل توسطوا، وفيه نهي عن كل من الإفراط والتفريط، وأمر بالتزام التوسط)[4].

٣ – حديث أبي موسى –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:" إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القران غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط "[5].

---

١. هوعبدا لرحمن بن شبل بن عمرو الأوسي الأنصاري، كان أحد نقباء الأنصار، مات في إمارة معاوية .انظر تهذيب التهذيب (١٧٦/٦).

٢. رواه أحمد في المسند (٤٣٧/٢٤) وعبدالرزاق في المصنف، ح(١٩٤٤٤)(٣٨٧/١٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ح(٦٤٤٥)(١٧٠/٤) رجاله ثقات. و صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(١١٦٨)(٢٥٨/١).

٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الأدب، باب الشفقة والرحمة على الخلق

٤. حاشية مسند الإمام أحمد (٣٩٠/٢٤).

٥. رواه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ح(٢٨٤٣)(٢٦١/٤) و حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير، ح(٢١٩٩)(٤٣٨/١).

قال السهانفوري:(" حامل القرآن ": أي حافظه وقارئه " غير الغالي " والغلو: تجاوز الحد، يعني غير متجاوز الحد في التجويد، وأداء الحروف.

"والجافي عنه ":أي: التارك لتلاوته)[1].

وعلى ضوء ما سلف يتبين لنا أن الغلو في السنة يراد به مجاوزة ما حده الشارع بالمبالغة والتنطع والتشدد،كما أفادت السنة أن الغلو كما يكون في الاعتقادات فإنه يكون في الأعمال، وأنه سبب هلاك السابقين، وكذلك اللاحقين إن هم غلو مثل غلوهم، وزادوا في الدين مثل زيادتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(... ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين،كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكاً)[2].

ثالثاً – نظائر الغلو:

وردت ألفاظ تدور في فلك الغلو، وقد يفسر بها، أو تكون بمثابة الأوصاف والمظاهر له، ولذلك يحسن ذكرها، ويتعين بيان معانيها ، حتى تكتمل الصورة الكاشفة لحقيقة الغلو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ، ماذا عنى بها الله ورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث، ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره، وكانت النظائر كثيرة، عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة، ولا يختص بها هو – صلى الله عليه وسلم – بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عاداتٍ حدثت بعده في الخطاب، لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه)[3]، ومن نظائر الغلو الواردة في الكتاب والسنة:

١- التنطع:

جاء في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" هلك المتنطعون " قالها ثلاثاً[4].

---

١. بذل المجهود (٩١/١٩).
٢. اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٩/١).
٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٥/٥).
٤. رواه مسلم ،كتاب العلم ، باب ،هلك المتنطعون، ح(٢٦٧٠)(٢٠٥٥/٤).

قال النووي:(" هلك المتنطعون ": أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[1]. وقال ابن الأثير:(هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا)[2]، وهذا المعنى يلتقي مع ما ذكره أهل اللغة، فقد جاء في لسان العرب: (التنطع في الكلام: التعمق فيه... و في الحديث: " هلك المتنطعون " هم المتعمقون

المغالون في الكلام، الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم)[3].

واللفظ عام فلا يقصر على معنى دون غيره، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله – بعد أن ذكر أقوالا في المراد بالمتنطعين:(وكل هذه الأقوال صحيحة، فإن المتكلفين من أهل الكلام متنطعون، والمتقعرون في الكلام ومخارج الحروف متنطعون، والغالون في عباداتهم متنطعون)[4].

٢ – التشدد:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –:" إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا "[5].

قال الحافظ ابن حجر:(المشادّة –بالتشديد –: المغالبة، يقال: شادّه يشادّه مشادّة: إذا قاواه. والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع)[6].

والمعنى اللغوي يتفق مع المعنى الشرعي، قال الجوهري: (المشادة في الشيء: التشدد فيه... والتشديد خلاف التخفيف)[7].

وقال ابن فارس:(الشين والدال أصل واحد، يدل على قوة في الشيء، وفروعه ترجع إليه... ومن الباب الشديد والمتشدد)[8].

---

١. صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢٠/١٦)
٢. النهاية في غريب الحديث (نطع)(٧٤/٥).
٣. لسان العرب (نطع)(٣٥٧/٨).
٤. تيسير العزيز الحميد، ص: (٣١٨)
٥. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح(٣٨)(٢٨/١).
٦. فتح الباري (٩٤/٢).
٧. الصحاح (شدد)(٤٩٣/٢).
٨. معجم مقاييس اللغة (شدد)(١٧٩/٣).

٣ – التعدي:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١]، وتعدي الحدود: مجاوزة الحق، وعدم الوقوف عليه[٢].

قال ابن فارس:(العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح، ترجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء، وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه)[٣].

وفي لسان العرب:(الاعتداء والتعدي والعدوان: الظلم...وعدا الأمر يعدوه وتعداه: كلاهما تجاوزه...والتعدي: مجاوزة الشيء إلى غيره...وأصل هذا كله: مجاوزة الحد والقدر والحق)[٤].

٤ – الطغيان:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٥]، قال الجوهري:(طغى يطغى، ويطغو طغيانا: أي جاوز الحد)[٦]، وفي لسان العرب:(وكل شيء جاوز القدر فقد طغى)[٧].

والمدلول اللغوي في معنى الطغيان يتفق مع ما ذكره المفسرون، قال البغوي:(" ولا تطغوا ": لا تجاوزوا أمري، ولا تعصوني، وقيل معناه: ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت)[٨].

وقال القاسمي: (" ولا تطغوا " أي: تجاوزوا حدود الله)[٩].

ومما يلفت الانتباه في هذه الآية أن الله تعالى لما أمر بالاستقامة على أمره عقَّب بالنهي عن الطغيان ومجاوزة الحد، دون التحذير من التقصير، وذلك – والله أعلم – لأن الحرص على الاستقامة يحتاج إلى علم، ويقظة إلى مداخل الشيطان، وأهواء النفس إذ قد يؤول الحرص على الطاعة والخير مع الجهل إلى غلو وإفراط، ومبالغة تخرج عن الاستقامة على أمر الله

---

١. سورة البقرة الآية ٢٢٩.
٢. انظر: تفسير الطبري (٥٨٤/٢) والمفردات في غريب القرآن (عدا) ص: ٣٢٦.
٣. معجم مقاييس اللغة (عد و) (٢٤٩/٤).
٤. لسان العرب (عدا) (٣٣/١٥).
٥. سورة هود، الآية: ١١٢.
٦. الصحاح (طغا) (٢٤١٢/٦).
٧. لسان العرب (طغى) (٨/١٥).
٨. معالم التنزيل (٢٠٣/٤).
٩. محاسن التأويل (٣٤٨٩/٩).

فتدين الجاهل ما لم يركن إلى علماء ربانيين، يستنير بهديهم – له طغيان سببه الزيادة على المشروع، والمبالغة في التطبيق، والقسوة في الحكم على المخالف أو عقابه بما لم يأذن به الله، قال الشوكاني –رحمه الله –: (الطغيان: مجاوزة الحد ؛ لمّا أمر الله سبحانه بالاستقامة المذكورة بين أن الغلو في العبادة، والإفراط في الطاعة على وجه يخرج به عن حده والمقدار الذي قدره، ممنوع منه منهي عنه... ولهذا يقول الصادق المصدوق فيما صح عنه: " أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "[1])[2].

٥ – العنف:

قال ابن فارس: (العين والنون والفاء أصل صحيح، يدل على خلاف الرفق، قال الخليل: العنف: ضد الرفق، تقول: عنف، يعنف، عنفا، فهو عنيف: إذا لم يرفق في أمره)[3].

وبهذا المعنى اللغوي جاء المعنى الشرعي،كما في حديث عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال:" يا عائشة إن الله رفيق يحق الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه "[4] قال النووي –رحمه الله :(أما العنف فبضم العين وفتحها وكسرها حكاهن القاضي، والضم أفصح وأشهر، وهو ضد الرفق، وفي هذه الأحاديث فضل الرفق، والحث على التخلق [به] وذم العنف.

والرفق سبب كل خير، ومعنى "يعطي على الرفق": أي يثيب عليه ما لا يثيب على غيره، وقال القاضي: معناه: يتأتى به من الأغراض، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره)[5].

هذا ما وجدته في الكتاب والسنة من ألفاظ هي نظائر للغلو، وتدور في فلكه وثمت لفظان لم يردا في نصوص الشرع، وقد كثر استعمالهما في عصرنا الحاضر للتعبير عن الغلو، ولذا يحسن ذكرهما، وتجلية المراد بهما:

---

١. رواه البخاري، كتاب النكاح. باب الترغيب في النكاح ح (١)(٢/٧).
٢. فتح القدير (٥٣١/٢).
٣. معجم مقاييس اللغة (عنف)(٤/ ١٥٨) وانظر قول الخليل في كتاب العين (عنف) (١٥٧/٢) مختصرا.
٤. رواه مسلم، كتاب البر، ح(٢٥٩٣)(٢٠٠٣/٤) ورواه البخاري مختصرا، كتاب استتابة المرتدين ح(٩)(٩/ ٢٨).
٥. صحيح مسلم بشرح النووي (١٤٥/١٦).

١ – التطرف:

المعنى اللغوي الدائر في فلك الغلو للفظ " التطرف " هو منتهى الشيء وغايته قال ابن دريد: (طرف الشيء منتهى آخره)[١] وفي لسان العرب: (وطرف كل شيء منتهاه)[٢].

ويبدو من مراجعة معاجم اللغة أن إطلاق التطرف على الغلو في الدين مستحدث، لكن اللغة لا تأباه، لأن التطرف " تفعُّل " من تطرف يتطرف فهو متطرف: إذا تنحى وبلغ المنتهى[٣]، ولذلك أقر مجمع اللغة بمصر معنى" تطرف " بأنه: تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط [٤].

وكلمة التطرف دخيلة أيضا على معجم المصطلحات الشرعية، فلم ترد بمعنى الغلو في الدين في الكتاب أو السنة، أو أقوال سلف الأمة[٥]، ولا يخفى أنه لا مشاحة في الاصطلاح، لكن الاقتصار على المسميات الشرعية أدل على المقصود ولاسيما أن مصطلح" التطرف " لم يتحرر بعد، والإعلام الغربي يربط بين الإسلام والتطرف ليغرس في الأذهان أن الغلو سمة لجميع المسلمين.

٢ – الإرهاب:

جاء في لسان العرب: (رهِب، بالكسر، يرهب رهبة ورُهباً، بالضم، ورهَباً بالتحريك، أي: خاف...ورهَّبه واسترهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فُسر قوله عزوجل: ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[٦] أي: أرهبوهم)[٧].

ولم يرد في الشريعة إطلاق الإرهاب على الغلو، ولذا لا بد من معرفة المقصود بالإرهاب ؛ لنعرف مدى صلته بالغلو، وقد كثرت تعريفات الغربيين لهذا المصطلح الحادث ومن ذلك:

---

١. جمهرة اللغة (طرف) (٢/٧٥٤).
٢. لسان العرب (طرف) (٩/٢١٧).
٣. انظر: كتاب العين (طرف) (٧/٤١٤).
٤. المعجم الوسيط (طرف).
٥. انظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، ص: ٢٢.
٦. سورة الأعراف، الآية ١١٦.
٧. لسان العرب (رهب) (١/٤٣٦).

١- يعرفه المفكر سويتل بأنه:(العمل الإجرامي المصحوب بالرعب، أو العنف أو الفزع بقصد تحقيق هدف أو غرض معين)[١].

٢- ويعرفه ديفيد بكفورد في المؤتمر الدولي لجمعية وتطوير القانون الجنائي في لندن عام

١٩٩٧م بأنه:(تسبب الإرعاب والإفزاع، بهدف الوصول إلى نتيجة مقصودة)[٢].

٣- وجاء في موسوعة (Encart) الإلكترونية: (الإرهاب هو: استعمال العنف، أو التهديد به، لخلق جو من الخوف بين أناس معينين، أو جهات معينة)[٣].

ولا يخفى ما في هذه التعريفات من ضبابية، تجعل ذوي المصالح الخاصة يلمزون بالإرهاب ما لا يناسبهم من استعمال القوة، كحق الدفاع عن النفس، وحركات التحرير[٤]، ولهذا يحسن ذكر تعريف المسلمين للإرهاب، ومن ذلك:

٢- عرف مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي الإرهاب بأنه:(العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان -دينه ودمه وعقله وماله وعرضه- ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق)[٥].

٢- وعرفه أحد علمائنا المعاصرين بأنه:(القيام بكل عمل يقصد به ترويع الأبرياء، أو الإفساد في الأرض، أو التخطيط لذلك)[٦].

وهذا التعريف دقيق في بيان الإرهاب المذموم، إذ إن لفظ " الأبرياء" يخرج المجرمين والظالمين المستحقين للإرهاب، ولفظ " الإفساد " يخرج الإصلاح، وإن كان فيه عنف مأذون فيه شرعاً، كالجهاد، وتطبيق الحدود، وإنكار المنكر.

وبناء على ما سبق فإن الإرهاب على ضوء التعريف الإسلامي ظاهرة خطيرة، وإفساد يأباه الإسلام، ولكن لفظ الغلو، والحرابة، والإفساد في الأرض، أصح لغة، وأدل على

---

١. موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب (٢٠٦/١).
٢. الإرهاب يسيطر على العالم. د/خالد عبيدات كتاب إلكتروني على الموقع: www.alerhab.net / Look/٢.htm
٣. موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب (٢٩٦/١).
٤. انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.
٥. الإرهاب آفة العصر، ص:٨.
٦. موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب (٢٩٧/١).

المقصود شرعا، إذ إن الإرهاب بمدلوله اللغوي والشرعي قبل الاصطلاح الحادث ليس مذموما على الإطلاق، فإن إرهاب الأعداء مأمور به شرعا، كما قال تعالى: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1] وكذلك إرهاب المفسدين والمجرمين، وردعهم عن الإقدام على الجرائم، بتطبيق الحدود الشرعية عليهم.

إن لفظ " الإرهاب " في عصرنا الحاضر ذو مدلول واسع، وسلاح ذو حدين، وقد يستغل ذلك أعداء الإسلام للضغط على أهل الإسلام، حكومات وشعوب، بادعاء أن التطبيق الفعلي للإسلام، ووسائله في القضاء على الجرائم، وتطبيق العقوبات الشرعية ومنع الفساد الموسوم بالحرية - من الإرهاب الذي يحاربه القانون الدولي، ثم إن هناك من أراد أن يوظف المفهوم الغربي للإرهاب لتأصيل الصراع بين الحضارة الغربي والحضارة الإسلامية[2]، تمهيدا لغزو صليبي على العالم الإسلامي بحجة حماية الحضارة الإنسانية.

رابعا - الألفاظ المضادة للغلو:

من جلي القول أن الأشياء تتبين بضدها، وقد وردت ألفاظ في الكتاب والسنة تضاد الغلو، وتدعوا إلى خلاف ما يدعو إليه، ولذا يحسن ذكرها، وبيان معانيها حتى تتجلى حقيقة الغلو، ويتميز عما قد يلابسه، ومن ذلك:

أ - الوسطية:

الوسطية من أبرز خصائص الإسلام، وأهم مميزاته، وأوضح صفاته، وبها اكتسب القوة، وتحقق له الانتشار، إذ إن الغلو والتشدد - وإن بدا له بريق ولمعان وقوة في وقت من الأوقات - فإنه يحمل حتفه، ويقضي على نفسه، وسرعان ما يخبو بريقه وتضعف قوته، ويتساقط المنافحون عنه، وتخور قواهم، وتنحل عزائمهم.

وقد ذكر الله تعالى الوسطية في معرض الثناء على هذه الأمة، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3] والوسط هو العدل كما في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٢. مثال ذلك كتاب: صراع الحضارات، تأليف: د. صامويل هنتنجتون.

٣. سورة البقرة الآية: ١٤٣.

بلغكم ؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي !. فيقول لنوح: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾والوسط: العدل "[1].

والوسط أيضا: الخيار، قال ابن كثير:(والوسط هاهنا الخيار الأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا، أي خيرها، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات)[2].

قال ابن جرير:(وأرى أن الله -تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)[3].

ب – اليسر وما في معناه:

اليسر والسماحة والرفق والتخفيف ورفع الحرج سمات بارزة، وصفات ثابتة، ومعالم أساسية لهذا الدين الرباني، يقول الله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[4]، ويقول سبحانه مبينا صفة النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ﴾[5]ويقول﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[6]، ويقول سبحانه﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[7]. ويقول جل جلاله: ﴿ طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾[8].

وكما دل كتاب الله على يسر هذا الدين وسماحته، والتخفيف على أتباعه، ورفع الحرج والشقاء عنهم، فقد دلت سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ذلك،

---

1. رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: إنا أرسلنا نوحا .. ح(١٤٢)(٤/٢٧٠).
2. تفسير القرآن العظيم (١/١٩٦).
3. جامع البيان (٢/١٤٢).
4. سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
5. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
6. سورة الحج، الآية: ٧٨.
7. سورة النساء، الآية: ٢٨.
8. سورة طه، الآية:١.

وإليك بعض الأحاديث التي تؤكد هذه السمات، وتنفي عن دين الله الغلو المقيت، والتشدد الموقع في العنت:

١- قال – صلى الله عليه وسلم – " إن الدين كله يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا "[١].

٢- وقال – صلى الله عليه وسلم –:" أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة "[٢].

٣- وقال –صلى الله عليه وسلم –: " إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة "[٣]

٤- وقال – صلى الله عليه وسلم –: " لا تشددوا على أنفسكم فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم "[٤]، وفي رواية:"لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم "[٥].

٥- وقال –صلى الله عليه وسلم –:" يا أيها الناس، إنكم لن تفعلوا، ولن تطيقوا كل ما أمرتم به، ولكن سددوا وأبشروا "[٦]. ويشهد لهذا الحديث قول الله تعالى:﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾[٧] فقد فسره مجاهد بقوله:(لا يقضي أحد أبداً كل ما افتُرض عليه)[٨] قال ابن كثير: (ولم أجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا)[٩].

٦- وقال –صلى الله عليه وسلم –:" إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا "[١٠].

---

١. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح(٣)(١/٢٨).
٢. رواه البخاري معلقا، الموضع السابق، قال الإمام ابن حجر في الفتح(١/٩٤):(وصله أحمد بن حنبل وغيره... وإسناده حسن).
٣. رواه أحمد في المسند ح(١٨٩٧)(٣١/٣٠٦) وأورده الهيثمي في المجمع،ح(١٥٩٨٢)(٩/٦١٧) وقال: رجاله رجال الصحيح.
٤. رواه الطبراني في الكبير(٦/٧٣) والأوسط(٣/٢٥٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد،ح(٢٢٠)(١/٢٣): فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وثقه جماعة وضعفه آخرون وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب:(١/٤٢٢):(صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة).
٥. رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحسد، ح(٤٩٠٤)(٤/١٧٧) وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، المذكور في الحاشية السابقة.
٦. رواه أحمد، ح(١٧٨٥٦)(٢٩/٣٩٩) وقال محققوه: إسناده قوي.
٧. سورة عبس، الآية: ٢٣.
٨. تفسير الطبري (٣٠/٥٦) (طبعة الحلبي).
٩. تفسير القرآن العظيم (٤/٥٠٤).
١٠. رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته ... ح(١٤٨٧)(٢/١١٠٤).

٧ – وقال –صلى الله عليه وسلم–" ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم"[١].

والأحاديث التي تبين سماحة الإسلام ويسره، و أنه جاء لإسعاد الفرد والأمة، لا لشقائها، أكثر من أن تحصر، ومعلوم أن الغلو والتشدد والتنطع، وتكليف النفس فوق طاقتها، أو إيقاعها في الحرج والعنت، تنافي مدلول هذه الأحاديث.

جـ – الاستقامة:

تكاثرت النصوص التي تحث على الاستقامة، كقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٢].

والاستقامة في اللغة: الاعتدال، يقال: قام الشيء واستقام: اعتدل واستوى[٣].

وحقيقة الاستقامة: لزوم المنهج المستقيم، وهو المتوسط بين الإفراط والتفريط[٤].

قال البغوي: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾أي: استقم على دين ربك والعمل به ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ ﴾: لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني، وقيل: معناه: ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت)[٥]. وإذا تدبرنا القيد ﴿ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ أي من غير نقص ولا زيادة علمنا معنى قول ابن عباس – رضي لله عنهما –:" ما نزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه "[٦].

قال شيخ الإسلام:(دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر، إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظفر، إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه)[٧].

وقال ابن القيم:(الاستقامة ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء)[٨].

وقال أيضا:(هاهنا ثلاثة أشياء تنافي تعظيم الأمر والنهي:

---

١. رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، ح(١٣٣٧)(٤/١٨٣٠).
٢. سورة هود، الآية: ١١٢.
٣. انظر: لسان العرب (قوم)(١٢/٤٩٨).
٤. انظر: روح المعاني للألوسي (٦/٣٤٥).
٥. معالم التنزيل (٤/٢٠٣).
٦. الجامع لأحكام القرآن (٩/١٠٧).
٧. مجموع الفتاوى (٣/٣٨١).
٨. مدارج السالكين (٢/١٠٨).

أحدها – الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال، والثاني – الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي.

وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان[1]: إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه... فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد)[2].

ثم ذكر الأمر الثالث الذي ينافي تعظيم الأمر والنهي، وهو حملهما على علة تضعف الانقياد.

وليس المقصود هنا استيفاء حقيقة الاستقامة، بل الإشارة إلى منافاتها للغلو والتنطع.

خامسا: ما يلتبس بالغلو:

قد تلتبس المعاني الشرعية بغيرها، أو تحمل على غير معانيها، إما لضعف دلالة الألفاظ عند من لا بصيرة له، وإما لهوى في النفس، ومرض في القلب.

ولا يجوز لأحد غير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ينصب نفسه ميزاناً لغيره فيعتبر من زاد على ما هو عليه غاليا، ويعتبر من نقص عنه مفرطا، بل الميزان في ذلك كتاب الله، وسنة رسول الله، وهدي أصحابه، وما عرف بالضرورة من منهج أهل السنة والجماعة، وهذه الموازين كلها كالميزان الواحد، يرجع بعضها إلى بعض، من غير تعارض أو تناقض.

وقد يفهم الغلو فهما خاطئا، ويدخلوا فيه ما ليس منه ولذا لا بد من القول بأنه ليس من الغلو:

١- الالتزام بشعائر الإسلام، والمحافظة على الواجبات، والحرص على السنن دون تنطع، ومما يؤسف له أن البعض ينبز بالغلو كل من التزم بالتكاليف الشرعية، والسنن النبوية، على وجه القصد والاعتدال، ودون إفراط أو تفريط، وهذا من جعل المعروف منكرا، والحق باطلا، ومن التلبيس الذي يضل به كثير من الخلق.

---

١. في الأصل: نزعتان، والتصحيح من نفس المصدر (١١٣/٢).
٢. مدارج السالكين (٥١٧/٢).

٢- الميل إلى الرأي الأشد في مسائل الاجتهاد، فليس من الغلو أخذ الرأي الأثقل إذا كان الدليل يعضده، أو كان أبرأ للذمة، وفق ضوابط التحوط التي ذكرها العلماء، لكن الغلو قد يتسلل من جهة وصم المخالف بالمروق من الدين، أو تمييعه، أو أنه ممن يتبع هواه أو يتتبع الرخص، فيزكي المتحوط نفسه، ويذم غيره، مع أن المسألة مما يسوغ فيها الخلاف[1].

٣- طلب الكمال في العلم والعمل، إذ إن الكمال مطلب شرعي والسعي لتحصيله فضيلة، يُثنى على صاحبها في الدنيا، ويؤجر عليها في الآخرة، قال ابن المنير -رحمه الله-: (إن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل)[2].

ويضاف إلى ما ذكره ابن المنير من صور الغلو المذموم ما يأتي:

أ- الجور على النفس بتكليفها بالرخص، والشعور بالإثم عند الترخص بما أذنت به الشريعة، كمن يلزم نفسه بإنكار المنكر باليد مع عدم القدرة أو مع العنت الشديد وترخيص الشريعة السكوت في مثل هذه الحالة، فإن لم ينكر بيده شعر بالإثم والتقصير.

ب - الغلو والمبالغة في تكفير المخالف عند أدنى شبهة، ثم الجزم القاطع بصحة تكفيره، والشعور بالإثم والحرج إن لم يكفره.

جـ - الميل إلى الأشد في التعامل مع المخالف من كافر أو منافق أو فاسق، فمثلا وردت نصوص تأمر بالغلظة على الذين كفروا وقتالهم[3]، ونصوص أخرى تأذن بالبر بهم والإقساط إليهم[4]، والإحسان إليهم[5]، والعفو عنهم[6]، وعدم الاعتداء عليهم[7]، ووجوب العدل معهم[8]، وقبول الصلح معهم، والوفاء بالعهد لهم[9].

---

١. انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين، ص:٨٦.
٢. فتح الباري (٩٤/١).
٣. كقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة: ١٢].
٤. كقوله تعالى: "لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ" {الممتحنة:٨}
٥. كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ [النساء:٣٦].
٦. كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ [المائدة:١٣]
٧. كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة:٢].
٨. كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨].
٩. كقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧].

فالمبتلى بالغلو يميل إلى النصوص الموافقة لهواه، ولا يلتفت إلى النصوص الأخرى التي تبين أن للكفار أنواعا وأحوالا، ومعاملات متعددة، لا يحرص الغالي على معرفتها أو ذكرها، أو التفريق بين من فرق الله بينهم.

د - عدم التأني في الفتنة، وركوب المخاطر لإشعالها، والرغبة الجامحة لأن يكون وقودها، مع ما في ذلك من سفك دماء معصومة، ومفاسد معلومة، ومضادة لنصوص الشرع، ومخالفة لمقتضى الحكمة والعقل، ومصلحة الفرد والجماعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه، وإما بيده، مطلقا من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي، معتقدا أنه مطيع في ذلك لله ورسوله، وهو معتدٍ في حدوده، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء، كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وغيرهم، ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك، وكان فساده أعظم من صلاحه، ولهذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم، ما أقاموا الصلاة [1]، وقال: "أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم "[2])[3].

وبناء على ما سبق استعراضه نستطيع أن نعرف الغلو فنقول:

الغلو: مجاوزة ما حده الله ورسوله في العقائد، أو الأعمال، أو التعامل مع الآخرين، أو الحكم عليهم.

كما تبين مما سبق أن الغلو في الدين من كبائر الذنوب، وظلم النفس وقد يكون ظلما للآخرين، ويمكن إجمال الأدلة على تحريمه بما يأتي:

١- النهي الصريح عن الغلو في الكتاب والسنة.

٢- بيان أنه سبب هلاك من قبلنا، وسنة الله واحدة، فما أهلك السابقين يهلك اللاحقين.

٣- أن الغلو ابتداع في الدين، واستدراك على الشرع " وكل بدعة ضلالة "[4].

---

١. رواه مسلم، كتاب الإمارة، ح(١٨٥٥) (١٤٨١/٣).
٢. رواه بنحوه البخاري كتاب الفتن، ح(٤)(٨٤/٩) ومسلم كتاب الإمارة، ح(١٨٤٣)(١٤٧٢/٣).
٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢٨/٢٨).
٤. جزء من حديث رواه مسلم، كتاب الجمعة، ح(٨٦٧)(٥٩٢/٢).

٤ – أنه تعد لحدود الله ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

٥ – أنه قد يفضي إلى تزكية النفس، والاغترار بالعمل، واحتقار الآخرين والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[2] وفي الحديث: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه "[3].

٦ – أن الغلو سبب لسوء الظن بالله، والشعور بضياع الدين، وهلاك المسلمين، وقد قال الله في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"[4]، وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: " إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم "[5].

والأ شهر ع ند الم حدثين روا ية: " أهلكُ هم " با لضم[6]، ومعنا ها ك ما ي قول الخطابي: (على وجهين: أحدهما – أن يكون ذلك في أصحاب الوعيد ومن يرى رأي الغلاة منهم ...

والوجه الآخر – أن يكون في ذلك الرجل، يولع بذكر الناس، وإحصاء عيوبهم، وعدّ مساوئهم، فهو لا يزال يقول: هلك الناس، وفسدت نياتهم، وقلت أماناتهم، ويذهب بنفسه عجبا، ويرى لها على الناس فضلا)[7].

ومما يؤسف له أن هذه سمة لكثير ممن ابتلي بالغلو، فهو يرى الخير في الناس من منظار ضيق، بينما يكبر السلبيات، ويشيع الأخطاء الفردية، ويخيل إليه أن الأمة قد ابتليت بذلك، وأنها قد هلكت أو أوشكت.

ومثل هذا يُذَّكر بقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[8] وبقول النبي –صلى الله عليه وسلم –: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس "[9] وغير ذلك من المبشرات.

---

١. سورة البقرة ، الآية ٢٢٩.
٢. سورة النجم ، الآية ٣٢ .
٣. جزء من حديث رواه مسلم ،كتاب البر ، ح(٢٦٢٣)(٢٠٢٤/٤) .
٤. رواه البخاري كتاب التوحيد ح(١٣٠)(٢٥٩/٩) ومسلم كتاب التوبة ح(٢٦٧٥)(٢١٠٢/٤)
٥. رواه مسلم ، كتاب البر ، ح(٢٦٢٣)(٢٠٢٤/٤).
٦. صحيح مسلم بشرح النووي (١٧٤/١٦).
٧. غريب الحديث (٥٣٦/١) .
٨. سورة الصف ، الآية : ٨ .
٩. رواه البخاري ، كتاب المناقب ، ح(١٤٢)(٦٠/٥) ومسلم كتاب الإمارة ، ح(١٠٣٧)(١٥٢٤/٣) واللفظ له.

٧- أن الغلو قد يحمل المبتلى به على تكفير المخالف له من أهل القبلة واستباحة دمه وعرضه وماله، متأولا لفعله بأنه يجاهد في سبيل الله، وينافح عن دينه. فيظلم أخاه، ويخطئ في فهم دين الله.

٨- أن الغلو -وعلى مدار تأريخ الإسلام- كان سبب إثارة فتن تصد عن سبيل الله، وتشغل عن طاعة الله، وتقطع السبيل إلى بيت الله، وتمكن لأعداء الله، وتؤخر مسيرة الأمة الحضارية، وشواهد التأريخ أكثر من أن تحصر.

٩- أن الغلو هو مفتاح التفرق، وباب البروز للمبتدعة، وبه ضُرب الحق وأهله وصُد عن السنة، وأُذل أتباعها.

هذه مجمل الأدلة على تحريم الغلو، وأنه من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام، وأن من ابتلي به يتقرب إلى الله بما يبغضه، ويتزلف إلى الجنة بما يبعده.

* * *

المبحث الثاني

أسباب الغلو

الغلو حالة وجدانية نفسانية، يبتلى بها الفرد فتؤثر على شخصيته، وعلى منهج حياته، وتغير نظرته للواقع، وموقفه من المخالف.

وهذه الحالة لها أسباب تولدها وتوجدها، وأخرى تمدها وتؤججها، ويصعب على الباحث حصرها جميعا، إذ إن الغلو مرتبط بالدين الذي ينافح عنه الغالي بطريقته وتصوره ومرتبط بالمجتمع في جانبه الشعبي والسياسي، ومرتبط بحضارة الأمة التي تعاني من صراع عنيف مع حضارات الأمم، ولذلك تتعدد الأسباب، وتتجدد المشاكل التي تولد الغلو، وتؤدي إلى الهيجان، وردود الأفعال العنيفة، كما أن لكل بلد ومجتمع ظروفا خاصة تساعد على تأجيج الصراع الداخلي، والتأزم النفسي، مما له أثر على تولد الغلو وزيادته

وسأقتصر على أهم أسباب هذه المشكلة – في نظري – وبما له مساس بمجتمعنا الخاص، تاركا الحصر والتفاصيل للدراسات الموسعة[1] فمن تلك الأسباب:

أولا – السبب العام:

إن السبب العام لكل بلاء وفتنة، ولكل نازلة ومصيبة، وينشأ عنه التنازع والاختلاف والفرقة والاقتتال، هو التقصير في حق الله، والتنكب عن صراطه، مما يستجلب عقوبته ويستنزل عذابه،كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[2] وينبغي ربط كل نازلة وبلية بهذا السبب العام، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[3] ولا شك أن الغلو وما يترتب عليه من فرقة واختلاف، وتسلل عدو، وقتال بين طوائف الأمة – من المصائب العظام التي تمس الفرد والمجتمع والدولة[4].

---

1. انظر: مشكلة الغلو في الدين (٥٢/١) ورسائل ودراسات في الأهواء..(٢٨٧/١) و ظاهرة الغلو في الدين ص:٦٩.
2. سورة الإسراء، الآية:١٦
3. سورة الشورى، الآية: ٣٠.
4. انظر: ظاهرة الغلو والتكفير، د. ناصر العقل، ص:٣٢.

قال شيخ الإسلام:(فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء، إذ لم يبق هنا حق يشتركون فيه،بل﴿ تَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1])[2].

ثانيا – الجهل المركب :

والمقصود به الجهل الذي لا يعلم به صاحبه، وهو أعظم من الجهل البسيط المقربه صاحبه. فالجهل المركب يقود إلى مهالك، ويجر الفرد والمجتمع إلى ويلات، ويتسبب في فساد عريض في الدنيا والدين، ولهذا الجهل مظاهر، منها:

١- الجهل بقواعد الشريعة، ومقاصدها النبيلة، كرعاية المصالح، ودرء المفاسد وارتكاب أخف الضررين، والمنع من إنكار المنكر إذا جرّ إلى منكر أعظم منه[3]، وبناء الشريعة على مصالح العباد، قال الإمام ابن القيم: (فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد، وهذا فصل عظيم النفع وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل إليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد...)[4].

وقال أيضا:(... وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة، إلى آخر الدهر... ومن تأمل ما جرى للإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه)[5].

٢- الاغترار بكثرة المحفوظ من العلم، دون وعي وفقه، وتبصر بقواعد العلم وضوابطه، ودون درايةٍ بحسن التعامل مع متشابه النصوص، ومعرفةٍ بالأصل والفرع،

---

١. سورة المؤمنون، الآية: ٥٣ .
٢. مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٣) .
٣. انظر: إعلام الموقعين (١٦/٣) .
٤. المصدر السابق (١٤/٣) .
٥. المصدر السابق: (١٥/٣) .

ومتى يلغى المفهوم ومتى يقبل، وكيفية التعامل مع موهم التعارض بين النصوص وما واقع الأمة، ومتى تعفى من بعض الأحكام[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في أمثال هؤلاء: (خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفّروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم... وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن، فيتأولونه على غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن)[2].

وقد أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى خطورة هذا المسلك بقوله "يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية "[3] فقد وصفهم النبي –صلى الله عليه وسلم – بقراءة القرآن، لكن من غير فقه ولا معرفة. قال الحافظ ابن حجر: (قوله "لا يجاوز " يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به، ويحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله)[4].

وقد أُثر عن السلف قولهم: (إذا كان علم الرجل أكثر من عقله، كان قمناً أن يضره علمه)[5].

وقد أحسن الإمام الشاطبي في بيان سبب الخطأ في فهم الدليل الشرعي فقال: (.فمن لا يعتبره من أوله وآخره، ويعتبر ما ابتنى عليه، زلّ في فهمه، وهو شأن من

---

١. يرى بعض المحققين أن الآيات التي وردت في الحث على الصبر، وتحمل الأذى وكف الأيدي، وعدم القتال أيام ضعف المسلمين وقلتهم، هي من الآيات التي دارت أحكامها على أسباب، فالله أمر المسلمين بالصبر وعدم القتال في أول الأمر لعلة الضعف والقلة، ثم أمرهم بالجهاد بعد ذلك لعلة القوة والكثرة، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما، والواجب على الأمة تطبيق ما تقدر عليه حسب قوتها وضعفها، وهذا هو الموافق لروح الشريعة، وأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ويؤيد هذا إباحة الفرار إذا كان العدو أكثر من نصف المسلمين، ومن باب أولى عدم ابتداء القتال إذا كان العدو كذلك. انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣٨/١) البرهان (٤٢/٢) والإتقان (٢٩٥٢/٧) ومناهل العرفان (١٥٠/٢).

٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٠/١٣).

٣. رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ح(١١٤)(٤٨/٥).

٤. فتح الباري (٦١٨/٦).

٥. الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٢١/٢).

يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية، ولا ينظر بعضها ببعض، فيوشك أن يزل وليس هذا شأن الراسخين في العلم، وإنما شأن من استعجل ، طلبا للمخرج في دعواه)[1].

٣- الجهل بمناهج الأنبياء في التغيير، من الابتداء بغرس العقيدة، وإصلاح النفوس، وتربية الأفراد، وبناء الشخصية المسلمة، المستسلمة لأحكام الله، الصابرة على الأذى، القادرة على ضبط النفس والإعراض عن الجاهلين.

وقد تطول فترة الإعداد، بل إن من الأنبياء من يلحق بربه ولم يؤمر بجهاد أو يكلف بإنكار بيد، أو تغيير بقوة ؛ إذ لم يستجب له العدد المقارب لقوة أعدائه، قال ابن كثير- رحمه الله -معللا الحكمة من عدم فرض الجهاد في مكة:(وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال، ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبا لأسباب كثيرة،منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم)[2]

٤- الخطأ في فهم المرجعية العلمية التي يوثق بها في الفتوى، ويؤخذ منها العلم، ولاسيما في الأمور التي تتعلق بمصير الأمة، فبعضهم يتخذ الخطيب المفوه مرجعاً له لأن صرخته وشجاعته تدل على إخلاصه وصدقه، وأنه ممن لا تأخذه في الله لومة لائم !!.

ومنهم من يخدع بمن دخل السجن وخرج منه مرات عديدة، أو بمن شارك في الجهاد، ومعلوم انه لا تلازم بين الإخلاص والصدق، وبين ثبوت المرجعية العلمية المؤهلة للفتوى في المهمات والنوازل[3].

لقد ثبت على مدار تأريخ الأمة الإسلامية أن قادة الغلو يملكون مؤهلات التأثير،من عواطف جياشة، وغيرة متقدة، وشجاعة نادرة، وإقدام بلا تردد، واستعجال للنصر،لكن قد يفقدون المؤهلات العلمية، والدراسة الواعية لسنن الله الكونية، والدراية بمجريات الأحداث، فإذا تصدوا للأمور الكبار، والمصالح العظام، وما له مساس بمصير الأمة،كثر منهم الخلط والتخبط، والحكم بالهوى والعواطف، وقادوا أتباعهم إلى الهلاك.

٥- الجهل بأثر الانتماء إلى حزب أو جماعة، من سلب إرادة الفرد أو ضعفها، وعجزه عن مقاومة ما يمليه العقل الجماعي، أو يفرضه الحزب، أو تقرره الجماعة وقد

---

١. الاعتصام (٢٢٣/١).
٢. تفسير القرآن العظيم (٥٣٨/١).
٣. انظر: التفجيرات والاغتيالات ص:١١٣.

يكون هذا نوعا من اتباع الهوى، وخلافا لقصد الشرع، متى ما وافقهم على خلاف الحق وهو يعلم، يقول الإمام الشاطبي:(المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف من داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا)[1].

ويؤكد الشيخ بكر أبو زيد أثر الانتماء الحزبي في الاعتقال الفكري، والحجر على العقلية الإسلامية بقوله: (إذ العيش في قالب الأحزاب همه الدفاع عنها، وتعميقها في النفوس، فاعتقلت بهذا الإنتاج الفكري في حدود الحزب)[2].

والملاحظ أن الغلاة لا يستمرون في الانتماء إلى الأحزاب والجماعات، لضيق عطنهم، وسرعة انفعالهم، وتبرمهم من الانضباط، وتعجلهم في تحقيق أهدافهم، وغلظتهم في إنكار ما يرونه منكرا.

٦ – الجهل بأن الغلو والتنطع معصية لله ورسوله، وأن الغالي قد عذب نفسه في الدنيا، وعرضها لعذاب الله في الآخرة، فهو يندرج فيمن قال الله فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[3] قال ابن القيم:(من كيد الشيطان العجيب أنه يشامُّ النفس[4]، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليه: أقوة الإقدام والشجاعة أم قوة الإحجام والمهانة، وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين، وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جدا الثابت على الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–)[5].

٧ – الجهل بإجماع أهل السنة والجماعة على وجوب الطاعة لولاة الأمور، وتحريم الخروج عليهم، وإن كانوا ظلمة وعصاة، قال شيخ الإسلام بن تيمية:(...وأما أهل العلم والدين والفضل، فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم، بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديما وحديثا)[6].

---

١. الموافقات للشاطبي (٢/ ١٢٨).
٢. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات، ص: ١٤٤..
٣. سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
٤. يقال: شامَمْ فلانا: أي انظر ما عنده. لسان العرب (شمم) (٣٢٦/١٢)
٥. إغاثة اللهفان (١٣٦/١).
٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/٣٥).

وقال أيضا:(وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به -صلى الله عليه وسلم -من طاعة الأمراء في غير معصية، ومناصحتهم، والصبر عليهم في حكمهم وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم...ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح وتقام الفتن،كما هو معروف من أصول أهل السنة و الجماعة، كما دلت عليه النصوص النبوية لما في ذلك من الفساد الذي يُربِي على فساد ما يكون من ظلمهم)[1].

٨ – الجهل بما يؤول إليه القول والفعل:

من دلائل الرسوخ في العلم، والفقه في الدين، التبصر بمآلات الأقوال والأفعال، ومعرفة نتائجها، وهل تحقق مصلحة، أو تدرأ مفسدة، ومن ثم يقدم المرء أو يحجم.

ومن أبرز الدلائل على اعتبار المآل، والمؤاخذة بالنتائج قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] فمنع الله تعالى أن يفعل المؤمنون فعلا جائزا يؤدي إلى محظور، قال السعدي: (في هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر)[3]، وقال الشاطبي:(النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا)[4].

ومن هذا المنطلق حرمت الشريعة تغيير المنكر، إذا كان يؤدي إلى منكر أعظم[5]،وأوجبت ارتكاب منكر أو أباحته لعارض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(ويتفرع من هنا مسألة وهو ما إذا كان لا يتأتى له فعل الحسنة الراجحة إلا بسيئة دونها... فإن كثيرا من الناس يستشعر سوء الفعل، ولا ينظر إلى الحاجة المعارضة له، التي يحصل بها من ثواب الحسنة ما يربى على ذلك، بحيث يصير المحظور مندرجا في المحبوب..كما

---

١. المصدر السابق (٣٥/ ٢٠).
٢. سورة الأنعام، الآية (١٠٨).
٣. تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٩).
٤. الموافقات (٤/ ١٤٠).
٥. انظر: إعلام الموقعين (٣/ ١٦).

أن الأمور المباحة، بل والمأمور بها إيجابا أو استحبابا [إذا][1] ما تعارضهامفسدة راجحة تجعلها محرمة)[2]. و إذا تأملنا الصراع بين الراعي والرعية – عبر تأريخ الأمة الإسلامية – نجد كثيرا من جوانبه هو من هذا الباب. فالراعي ينظر إلى المصلحة الراجحة، والمنكِر عليه يرى سوء الفعل.

إن الجهل بنتائج الأقوال، ومآلات الأفعال، سبب رئيس للفتن التي تعصف بأهل الإسلام، إذ إن بعض المسلمين الغيورين يندفعون إلى تغيير ما يرونه منكرادون تروٍّ أو حكمة، ودون وزن للمصالح والمفاسد. فإذا انكشفت الغمة، وهدأت فورة الغضب تبين لهم أن ما أفسدوه أكثر مما أصلحوه، وأن جهدهم وتعبهم هو أقرب للسيئات من الحسنات.

ثالثا – التحديات المعاصرة:

تعاني الأمة الإسلامية في هذا العصر من تحديات ضخمة، ومواجهات عنيفة ومكر كبار، استهدف عقيدة المسلمين، وأخلاقهم، ومحارمهم، بل ووجودهم، مما أثار العواطف، وأجج المشاعر، وجعل أصحاب الأفكار الغالية ينتهزون الفرصة، ويبثون سمومهم فيمن يحسن الظن بهم، ويعتقد أن لديهم حلولا ناجحة لدرء الفتنة عن المسلمين، ومن تلك التحديات:

تسلط الكفار بالاحتلال، والتحكم في المصالح، والتدخل في الشؤون الخاصة، وفرض ثقافتهم، وإذكاء صراع الحضارات، لضرب الإسلام، وإذلال أهله، تحت مظلة محاربة الإرهاب.

١- الغلو المعاكس، والتطرف المضاد، من حملة الأفكار المستوردة، والمتمثل في الافتتان بالأنموذج الغربي للحياة، والانفتاح المتسارع على حضارته، والنظر بمقاييسه وإبعاد الدين عن بعض جوانب الحياة، والاستهزاء بحملته والاستخفاف بالأخلاق، ومصادمة ثوابت الدولة، ومسلمات المجتمع، مما يستفز عامة الناس، فضلا عن الغيورين على الدين، فكيف بمن ابتلي بغلو وتنطع، وعنف وتهور.

---

١. زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.
٢. المصدر السابق (٢٨/٣٥).

٢- التنكر العجيب لأحكام عرفت من الشريعة بالضرورة، كالجهاد بشروطه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والبراء بالضوابط الشرعية، وصيانة المرأة وقوامة الرجل عليها، ونحو ذلك مما يكثر الخوض فيه بهوى أو جهل.

إن التنكر لحقائق شرعية ثابتة يستفز عامة الناس، فضلا عن خاصتهم، ويتذرع به أهل الغلو، ويمكن لهم في قلوب الشباب.

٣- بروز المبتدعة، وتلميعهم، والإيحاء بأنهم حملة الإسلام، القادرون على مواجهة أعدائه، مع تحالفهم معهم في الباطن، واتحادهم على محاربة التوجه الصحيح للإسلام، المتمثل في الدعوة السلفية، والتي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

٤- محاربة الغلو بغلو، والعنف بعنف، ومن السنن المطردة أن كل قوة لها ردة فعل تماثلها في القوة وتخالفها في الاتجاه.

إن محاربة الغلو وإن احتاجت إلى شيء من الحزم، لكن الحرب الحقيقية معه هي اقتلاع شبهه، ورد حججه، وبيان زيفه، وتعريته لكل مخدوع به، وكشف ما وراء الأستار لمعرفة من يموله، ويروج له من أعداء الحق، ومبغضي السنة. إن هذه التحديات المعاصرة للمسلم اليوم وغيرها كثير، ولّدت ردة فعل عنيفة وجعلت تيار الغلو يجد الفرصة المواتية لانتشاره وتوغله، وتغلغله في الأفئدة، ووجود من يتعاطف معه ممن لم يبتل به، ويتلطخ بأدرانه.

رابعا - الشحن العاطفي:

في بؤرة واقع الأمة المتردي، وعبر تلك التحديات الكبرى التي تمر بها في هذا العصر، وُجد من يشحن الشباب شحنا عاطفيا، ويضرب على الوتر الحساس، ويستغل واقعا مؤلما، ورغبة جامحة لدى الشباب نحو رد الفتنة، ودفع العدو، وتغيير واقع الأمة.

ويصعب حصر أهداف هؤلاء المستغلين لعواطف الشباب، المؤججين لنار الفتنة ولكن يمكن تصنيف ذوي الأغراض السيئة إلى ثلاثة أصناف:

١- أهل الأهواء والتحزب:

وهؤلاء يعتمدون على تأجيج المشاعر، ويربون أتباعهم على الحماس غير المنضبط بضوابط الشرع، وقواعد الدين، ويحرصون على تكثير الأتباع بأساليب دعائية مع الغفلة

عن الغايات الكبرى في الدعوة إلى الله، من غرس العقيدة، وتأصيل المنهج، وجمع الكلمة على العلماء والولاة، وتحقيق الأمن[1].

ومن الجدير بالتنبيه أن هذه الفئات التي تميل إلى الشحن العاطفي تبالغ في ذكر فساد المجتمع، وتهول من مخططات الأعداء، والمبالغة في هذا الشأن لها أثر سلبي كبير على المدى الطويل، كالإيحاء بأن الفساد ضربة لازب، لا طاقة للأفراد في تغييره وبث روح اليأس والانهزامية في الأنفس، والشعور بغربة الدين، وصعوبة تطبيقه وملازمة الحزن المفضية لانتكاسة ضعفاء الإيمان.

٢ – أصحاب البدع:

للمبتدعة أعداء أهل السنة والجماعة أثر عظيم في انتشار الغلو، وتغلغله في الأفئدة، بل إن المرء يجزم بأن قادة الغلو، والموجهين الحقيقيين له، هم من أعداء أهل السنة والجماعة، الجادين في القضاء على الحق باسم الحق، ومما يؤكد هذا:

أ – أن بلاد الحرمين –موئل أهل السنة والجماعة، والمدافع الحقيقي عنهم– من أكثر من اصطلى بنار الغلو، ولو كان الغلو يقود نفسه لكان نصيب كل بلد من بلدان العالم الإسلامي على قدر بعده عن الدين، وتحكيم شريعة الإسلام، ولكانت بلادنا هي الأقل في انتشار الغلو، وتسلط الغلاة.

ب – أن كل الأسباب التي يتذرع بها الغلاة موجودة من قبل، فلماذا لم يبزغ نجم الغلو إلا بعد ثورة الخميني في إيران، وتبنيها مشروع تصدير الثورة ؟!!!.

جـ –اعتراف بعض الغلاة التائبين بالصلة الوثيقة بينهم وبين أعداء أهل السنة من المبتدعة[2].

إن على العاقل اللبيب الاستفادة من عبر التأريخ، والاستضاءة بما وقع في الماضي فلقد قتل عثمان ثم قتل علي – رضي الله عنهما – وقُضي على الخلافة الراشدة بعد فتن عظام، وسفك دم حرام، وكان الفاعل لذلك – في الظاهر – أيادي متوضئة حملها على ذلك غيرة متقدة، وعواطف متأججة، تريد نصرة حق، ودفع باطل – فيما يتراءى لهم –

---

١. انظر: ظاهرة الغلو والتكفير، ص: ٢٨.
٢. انظر: الإرهاب، دوافعه وعلاجه، ص: ١٩٦.

ولكن بعد هدوء العاصفة، وانكشاف الغطاء، تبين أن المحرك لهذه العواطف والمؤجج لتلك المشاعر، لفيف من حزب باطني، من زنادقة الفرس، وكفرة أهل الكتاب ومنافقي العرب[1].

إن الحزب الباطني الذي قضى على الخلافة الراشدة، وأعاق الفتوحات الإسلامية ومد يده لكل عدو للإسلام، لا يزال يعمل عمله اليوم، من ضرب الحق، والقضاء على أهل السنة والجماعة، وإضعاف كل قوة لهم، ومنها هذه البلاد المباركة، الحارس الأمين – بعد الله – للحق وأهله، والكاشف المبين لزيف المزيفين، وابتداع المبتدعين، ممن يتباكون على الإسلام وأهله علنا، ويطعنونه في الفؤاد سرا، ويتجللون بجلال حب آل البيت، ويتدثرون بزخرف القول غرورا، ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2].

٣ – حملة الأفكار المستوردة:

وهؤلاء لهم دور كبير في إذكاء الغلو، إما بقصد، إذ إن من مصالحهم المصادمة بين الحاكم والفئة المتدينة من المجتمع ؛ ليثبتوا الحاجة إليهم في التصدي لتيار الغلو والتشدد، وليمرروا كثيرا من أفكارهم بحجة تجفيف منابع الإرهاب والغلو.

وقد يكون أثر هؤلاء بغير قصد، ولكن أساليب الطرح، وطرق العلاج لبعض القضايا تؤدي إلى نتائج عكسية، من إثارة المشاعر، وتهيئة البيئة لترعرع الغلو وانتشاره.

كما أن حملة هذه الأفكار – في الجملة – مستعجلون في تحديث المجتمعات الإسلامية وفق الرؤية الغربية، وبغض النظر عن ردات الأفعال المتوقعة، أو السلبيات الناتجة عن القفزات الحضارية، التي لا تتحملها الشعوب في العادة، يقول الأخصائي الاجتماعي الدكتور مصلح الصالح:(يرى عدد من الباحثين أن التحديث تتبعه عدة تغيرات مستمرة في جميع المجالات الأساسية للمجتمع، وهذا يعني بالضرورة التفكك والاضطراب، هذا بالإضافة إلى النمو المستمر للمشكلات الاجتماعية، والانقسامات

---

١. انظر: تأريخ الطبري (١٩٤/٥) والعواصم من القواصم، ص: ١١، ومقدمته لمحب الدين الخطيب ص: ٤

٢. سورة البقرة، الآية: ٩.

والصراعات بين الجماعات المختلفة، وحركات الاحتجاج، فسوء التنظيم والاضطراب يشكلان جزءا رئيسا من التحديث)[1].

خامسا – حداثة السن:

إن الشباب بما فيهم من حيوية، و عواطف جياشة، وسرعة انفعال، ورغبة في التجديد، وجهل بمكر الأعداء، قد تستهويهم أفكار الغلاة، ويخيل إليهم أن الأفكار المتشنجة، والحدة في التعامل مع المخالف، واستخدام القوة في الإصلاح، هي الكفيلة بتغيير واقع لا يرضيهم، وتعجيل صبح مشرق، يتطلع إليه الشباب في واقع أمتهم.

و قد أشار النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى خطورة حداثة السن، مع ضحالة العلم، إذا شعر صاحبها أنه حمل مسؤولية الإصلاح، وذلك في قوله -صلى الله عليه وسلم-:"يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم "[2].

وهذا الحديث دليل على أنه لا يكفي حسن القول، بل لا بد من حسن ثماره وحسن الفعل، ويؤكد هذا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:" سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل... يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء"[3].

وإنني أناشد كل طالب حق، يظن أن لا بناء إلا بعد هدم آخر معقل لأهل السنة والجماعة، أن يتدبر هذه الجمل الثلاث الواردة في هذين الحديثين:

١- " يقولون من خير قول البرية ".

٢- " قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل ".

٣- " يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ".

إن هذه الجمل تبين ضرورة الرجوع إلى علماء ربانيين، سلموا من الأهواء، فهم القادرون على تمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، خاصة في زمن الفتن واشتداد المحن، ومن أبعد عنهم سوف يغتر بحسن القول، ومهارة الدعاية بالدعوة إلى كتاب

---

١. ظاهرة الإرهاب المعاصر، ص: ٤٩ .
٢. رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ح(١١٥)(٥/٤٩).
٣. رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في قتال الخوارج، ح(٤٧٦٥)(٤/٢٤٣) و صححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير، ح(٣٦٦٨)(٢/٦٨٤).

الله، والتباكي على دينه ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[1].

سادسا - مصاحبة الغلاة والاطلاع على آثارهم:

من المتقرر بداهة أن الطبع سرّاق، فالإنسان يتأثر بمن يجالس ويصاحب، وبما يسمع ويرى، وقد أكد النبي -صلى الله عليه وسلم- على تأثر المرء بأصحابه في قوله:" الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل "[2].

والمرء: (موسوم بسيماء من قارب، ومنسوب إلى أفاعيل من صاحب... قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:" الصاحب مناسب " وقال عبد الله بن مسعود:" ما من شيء أدل على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب ")[3].

وقد جاء التحذير من مجالسة أي مبطل في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

وعلى هذا سار سلف هذه الأمة، من التحذير من مجالسة الغلاة وأهل الأهواء قال أبو قلابة الجرمي التابعي: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالاتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون)[5]. وقال الإمام البغوي: (وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة، على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم)[6].

وقال الإمام الشوكاني: (ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها، علم أن مجالسة أهل البدع المضلة، فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولاسيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب

---

1. سورة الرعد، الآية: ١٧.
2. رواه أبو داود كتاب الأدب، ح(٤٨٣٣)(٤/٢٥٩) والترمذي كتاب الزهد، ح(٢٣٧٨)(٤/ ٥٨٩) وصححه، وكذلك الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، ح(٣٥٤٥)(١/٦٦٤).
3. أدب الدنيا والدين، ص: ٢٦٧.
4. سورة الأنعام، الآية: ٦٨.
5. السنة، تأليف: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ص: ٢٤.
6. شرح السنة (١/١٩٤).

والسنة، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدا أنه الحق، وهو من أبطل الباطل، وأنكر المنكر)[1].

وقراءة كتب الغلاة ومقالاتهم، وما تسطره أقلامهم، لا يقل خطرا عن مجالستهم وسماع كلامهم، قال ابن مفلح المقدسي -رحمه الله-:(ويحرم النظر فيما يخشى منه الضلال، والوقوع في الشك والشبه، ونص الإمام أحمد - رحمه الله ورضي عنه -على المنع من النظر في كتب أهل الكلام، والبدع المضلة، وقراءتها وروايتها)[2].

هذه أبرز أسباب الغلو العامة - في نظري - وثمت أسباب خاصة تتعلق بطبيعة الشخص وظروفه، والبيئة المحيطة به، وطريقة تربيته، والأزمات التي مرت به.

ثم إن لوسوسة الشيطان أثرا لا ينكر، إذ إن الغلو كالوسواس القهري، ظاهره زيادة عمل صالح، وحقيقته وحي شيطان، وتسلط عدو، وافق هوى نفس، أو طمع، أو غضب للنفس، أو انتصار للقوم أو الجماعة.

وفي خاتمة هذا المبحث تجدر الإشارة إلى سبب رئيس لانتشار الغلو في هذا العصر، وهو تسلط بعض الأنظمة السياسية، واتباعها سياسة القمع والتعذيب لكل من خالفها، مما ولد ردة فعل لا يجوز تجاهلها، أو الاستهانة بها، كما أن هذه الأنظمة جففت منابع العلم الشرعي، وأفسدت مناهجه الدراسية، مما هيأ بيئة خصبة لترعرع الغلو وانتشاره ؛ إذ هو مقترن بالجهل، واندراس العلم.

* * *

١. فتح القدير (٥٤٣/١).
٢. الآداب الشرعية (١٩٩/١).

المبحث الثالث

آثار الغلو

إن المتتبع لآثار الغلو وأضراره وأوضاره عبر تأريخ الأمة الإسلامية الطويل من افتراق وتكفير وجدل، وانشغال عن العدو، وتعويق لمسيرة الفتح، وصد عن الدعوة إلى الله واستباحة دماء، وإفساد دنيا –ليجزم أن الأمة لم تصب بأشنع منه.

ويعظم الضرر، ويتفاقم الفساد، إن قاد الغلو إلى خروج على السلطان، قال الإمام ابن القيم:(ومن تأمل ما جرى للإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:(وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير...فلا أقاموا ديناً، ولا أبقوا دنيا)[2].

ونظراً إلى أن أضرار الغلو تلحق الدين والدنيا، والنفس والمجتمع، في الحاضر والمستقبل، فإنه يصعب حصرها، وسأكتفي بذكر أبرزها:

أولا – إفساد الدين:

الغلو ضلال عن الطريق المستقيم، ومعولٌ هادم لملل الأنبياء، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

ومن يطلع على تأريخ الأديان، وعلى مصير غلاة هذه الأمة، يتبين له أن الغلو سبب لتحريف الأديان وتغييرها، بل إن الأمر قد يؤول إلى أن لا يبقى معهم من الدين إلا اسمه كما نراه في الديانات السابقة، وفي غلاة هذه الأمة، قال شيخ الإسلام:(المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام والسنة، حتى يدعي السنة من ليس من أهلها، بل قد يمرق منها، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه)[4].

---

١. إعلام الموقعين(١٥/٣).

٢. منهاج السنة(٥٢٧/٤).

٣. سورة المائدة،الآية:(٧٧).

٤. مجموع الفتاوى(٣٨٣/٣).

وقال ابن الوزير اليماني بعد أن ذكر أن بعض المبتدعة لا يعفى عنهم في الآخرة[1]: (والوجه فيه أن الله تعالى أقام عليهم الحجة، وعلم منهم التعمد – ولو في بعض الأوقات – إما في الابتداء ثم عاقبهم وسلبهم الطاقة، كقوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[2]، وإما في أثناء المناظرة والنظر، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[3])[4].

ويؤكد هذا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه"[5]، قال الشاطبي: (ويشهد له الواقع، فإنه قلما تجد صاحب بدعة ارتضاها لنفسه يخرج عنها، أو يتوب منها، بل هو يزداد بضلالته بصيرة)[6].

ومن فساد الدين الذي لا يكاد يسلم منه من ابتلي بالغلو، ولاسيما من تصدّر منهم، أن هواه يحمله على تعسف الأدلة، واجتزاز النصوص؛ لتوافق معتقده وهوى جماعته يقول الإمام الشاطبي: (وكذلك الأمر في كل مسألة فيها الهوى أولا، ثم يطلب لها مخرجا من كلام العلماء، أو أدلة الشرع، وكلام العرب أبداً لاتساعه وتصرفه[احتمالاته كثيرة][7] لكن يعلم الراسخون المراد منه من أوله وآخره وفحواه... فمن لا يعتبره من أوله وآخره ويعتبر ما ابتنى عليه، زلّ في فهمه، وهو شأن من يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية ولا ينظر بعضها ببعض، فيوشك أن يزل، وليس هذا شأن الراسخين في العلم، وإنما شأن من استعجل، طلبا للمخرج في دعواه)[8].

ثانيا – التكفير:

الغلو يستفز صاحبه، ويحمله على مضادة من خالفه ومضارته، وإلزامه بمعتقده، ولذلك يتسرع في تكفيره، والحكم عليه بالخروج من الملة، والمروق من الدين، ليبرر لنفسه جواز قتاله، واستباحة دمه وماله.

---

١. يعني لا يعذرون بالجهل، أما عفو الله عن عذابهم فهم من جملة العصاة الواقعين تحت مشيئة الله.
٢. سورة الأنعام، الآية: ١١٠.
٣. سورة آل عمران، الآية: ١٩.
٤. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١/١٩٩).
٥. رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر... ح(١٨٤)(٩/٢٨٨).
٦. الاعتصام (٢/٢١٧).
٧. في المرجع: واحتمالاتها كثيرة، ولعل الصواب ما أثبته إذ الطبعة التي بين يدي كثيرة الغلط.
٨. الاعتصام (١/٢٢٣).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-:(بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره، وقد يكون الصواب معه، وهو الموافق للكتاب والسنة، ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين، فليس كل من أخطأ يكون كافرا، ولا فاسقا، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان)[1].

وقال – رحمه الله -:(حال أهل البدع يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم فيها، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق ويرحمون الخلق)[2].

ثالثا – التنازع والافتراق:

من مقاصد الشريعة الاتحاد والاتفاق، والحذر من الافتراق، وقد أمر الله بالجماعة والإئتلاف، ونهى عن البدعة والاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[3] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ ﴾[4].

ومن يسبر غور مآلات الغلو، وعاقبة الغلاة، يجد أن الغلو يقود إلى الافتراق من عدة جهات منها:

١- أن الغلو في حد ذاته مفارقة لجماعة المسلمين، وتنكب عن منهج أهل السنة والجماعة، كيف لا، وهو يقود إلى تضليلهم أو تكفيرهم، ثم قتالهم واستباحة دمائهم.

٢- أن الغلو المفرط يؤدي إلى الخروج على الحاكم المسلم، مع ما يترتب على ذلك من فساد وفرقة.

٣- أن الغلو هو المدخل الرئيس لكيد الكائدين من أعداء الإسلام، بل إن رؤوس الافتراق ركبوا مطية الغلو، وكانوا ممن يسعى لهدم الإسلام[5].

---

١. مجموع الفتاوى (٣/٤٢٠).
٢. المصدر السابق (٣/٢٧٩).
٣. سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
٤. سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
٥. انظر: الافتراق، مفهومه وأسبابه... تأليف د. ناصر العقل (ص: ٣٤).

٤- لو تأملنا نشوء الفرق الإسلامية، والنحل المنتسبة له، لتبين لنا أن أعظم سبب لذلك هو الغلو في جماعة، واعتبارها جماعة الحق، وما سواها فرق ضلال، وهذا يقود إلى التنازع والجدال، ثم التكفير والاقتتال[1].

٥- الغلو يحمل صاحبه على الاعتداء والظلم لمن خالفه، سواء باللسان أو باليد، وهذا مدعاة تعصب، ثم تفرق وتحزب.

رابعا - استباحة الدماء:

لقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن مآل الغلاة بقوله: " يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان"[2]، وواقع الحال يشهد لذلك، فقد نجم عن الغلو الجرأة على الاقتتال، والميل إلى استباحة الدم الحرام، وإجازة التفجيرات، مع ما تحدثه من قتل عشوائي، وإتلاف أموال، وترويع وإفساد، وزعزعة أمن، مع كثرة النصوص الدالة على شناعة قتل المسلم، كقول الله سبحانه ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[3] وخطورة الإفساد في الأرض كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[4] وخطورة قتل الكافر المعاهد الوارد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة "[5].

كما أن الغلو يحمل صاحبه على عدم اعتبار العهد لكثير من المعاهدين الذين دخلوا ديار الإسلام بعقد وذمة، قال شيخ الإسلام: (الأمان يجوز عقده لكل كافر، ويعقده كل مسلم)[6]، وقال موفق الدين ابن قدامة: (الأمان إذا أعطي أهل الحرب حرم قتلهم ومالهم والتعرض لهم، ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار، ذكرا كان أو أنثى، حرا كان أو عبدا)[7]، ثم استدل بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " ذمة المسلمين واحدة

---

١. انظر: مشكلة الغلو في الدين (٢/٦٧٥).
٢. رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: " وأما عاد ..." ح(١٤٦)(٤/٢٧٤).
٣. سورة النساء، الآية: ٩٣.
٤. سورة الأعراف، الآية: ٧٥.
٥. رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا، ح(٨)(٤/٢١١).
٦. الصارم المسلول (ص: ٩٥).
٧. المغني (١٣/٧٥).

يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا "[1].

خامسا - الصد عن سبيل الله:

لا يخفى على بصير أن الغلو عدو للإسلام، وسبب للصد عنه، ويتجلى ذلك في الأمور التالية:

١- تنفير الكفار من الإسلام، وإعطاؤهم صورة كالحة عنه.

٢- عزل عامة المسلمين، التي تنشد اليسر، وتكره العسر، عن الفئة المتدينة، وتنفيرها من الإسلام كنظام للحياة، إذ إن الغلاة يتبنون تضيق ما وسعه الله، وتعسيرما يسره.

كما أن جهلة العامة - وهم كثير - يعزلون أولادهم عن المستقيمين الملتزمين بدين الله خوفا من الغلاة، فتقع الذرية فريسة الشهوات، وفي أيدي المتربصين بهم من مروجي المخدرات والمسكرات.

٣ - تشكيك العامة بتدينها، وإشعارها بتقصيرها، عند مقارنة حالهم بحال هؤلاء الغلاة، وهذا يقود إلى فساد عريض.

٤ - تمكين العدو المتربص من ضرب الإسلام، والتضييق على أهله، وإيذاء الدعاة إليه وإغلاق جمعيات الإغاثة، ومدارس تعليم القرآن، بحجة القضاء على الإرهاب.

٥ - إشغال علماء الإسلام والدعاة إلى الله، بتبصير الناس بحقيقة الغلو، والرد على الغلاة، وهذا على حساب تعليم الناس أمور دينهم، ودعوة الكفار إلى الإسلام، والمبتدعين إلى السنة، وأرباب الشهوات إلى التوبة.

سادسا - الطعن في علماء الأمة:

نبز العلماء، والطعن فيهم، ثمرة مرة من ثمار الغلو المرعبة المزعجة، فقد تواطأ الغلاة على إسقاطهم، وزعزعة ثقة الناس فيهم، فتارة يوصفون بالكفر والردة، أو الفسق والفجور، وتارة يلمزون بالجبن، أو حب الدنيا، أو الفتنة بالمال، وعلى أحسن الأحوال هم عند الغلاة لا يفقهون الواقع، ولا يعرفون ما يدور حولهم.

---

١. رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر، ح(٢١)(٤/٢١٧).

وعداء الغلاة للعلماء الربانيين عميق ومتأصل، فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: مر سعد بن أبي وقاص برجل من الخوارج فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر! فقال سعد: كذبت! بل أنا قاتلت أئمة الكفر)[١].

وقال عمر بن النضر: (سئل عمرو بن عبيد[٢] يوما عن شيء – وأنا عنده – فأجاب فيه، فقلت له: ليس هكذا يقول أصحابنا! فقال: ومن أصحابك لا أبا لك؟! قلت: أيوب ويونس وابن عون والتيمي[٣].

قال: أولئك أنجاس أرجاس أموات غير أحياء)!![٤].

وقال الإمام ابن علية: (حدثني اليسع، قال: تكلم واصل (يعني ابن عطاء) يوما فقال عمرو ابن عبيد: ألا تسمعون؟! ما كلام الحسن وابن سيرين عند ما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة)[٥].

فإن قيل: ما سبب تسلط الغلاة على علماء الأمة، مع أن خلافهم الحقيقي مع أهل السياسة والإمارة؟!

والجواب: إن العلماء يعرفون حقيقة الغلو، ويكشفون شبهات الغلاة، ويرفعون اللثام الرقيق الذي يحجب التزيد في الدين، ويستر قبح البدعة، ويسقطون القناع الذي يلبسه هؤلاء، من التمسح بالدين، والتباكي عليه، أو على بعض رموزه، والظهور بمظهر الزهد والتقوى[٦]، وحينئذ تنكشف الحقيقة للناس عامة، وللشباب خاصة الذين هم هدف الغلاة.

والجدير بالذكر أن تأريخ الغلو والغلاة موغل في الحط من شأن حماة الشريعة وحملة ميراث النبوة، ومن شواهد ذلك تكفير الخوارج والرافضة لجمهور الصحابة،

---

١. تفسير القرآن العظيم (٣٥٢/٢).
٢. رأس المعتزلة الغلاة وأولهم، العابد الزاهد، وقد اغتر بزهده أفاضل. انظر سير أعلام النبلاء (١٠٤/٦).
٣. وجميع هؤلاء من علماء الإسلام الأعلام، الذين حفظ الله بهم دينه وسنة نبيه.
٤. الاعتصام (٢٣٢/١).
٥. المصدر السابق، الصفحة التالية.
٦. قال الذهبي لما ذكر إعجاب الخليفة أبي جعفر المنصور بعمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد: (اغتر بزهده وإخلاصه، وغفل عن بدعته). سير أعلام النبلاء (١٠٥/٦).

والهدف لا يخفى على لبيب، إذ بإسقاط العلماء، يخلو الجو لهؤلاء، ويتهيأ لباطلهم الرواج والانتشار، ويتحطم الحاجز الذي يفصل بين الحق والباطل، والسنة والبدعة.

إن جراح أهل السنة والجماعة في هذا العصر غائرة عميقة، ومن أعظمها نكاية وأشدها أثرا إسقاط المرجعية العلمية لهم، التي تعصمهم بإذن الله من الابتداع، وتحميهم من الافتراق.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:(تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج و الروافض، الذين يكفرون أئمة المسلمين لما يعتقدون أنهم أخطؤوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء الـ مسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– و ليس كل من يترك بـ عض كلا مه لخ طأ أخ طأه يك فر ولا يفسق، بل ولا يؤثم...)

ثم قال:(ومن كفرهم بذلك استحق العقوبة الغليظة التي تزجره وأمثاله عن تكفير المسلمين) ثم قال: (بل دفع التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطؤوا هو من أحق الأغراض الشرعية، حتى لو فرض أن دفع التكفير عن القائل [للكفر][1] يعتقد أنه ليس بكافر حماية له ونصرا لأخيه المسلم – لكان هذا غرضا شرعيا حسنا، وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب فله أجران..)[2].

سابعا – زعزعة الأمن:

يحرص الغلاة على مدار التأريخ لإسقاط الإمارة القائمة، ليتم لهم بناء جديد يتوافق مع أهوائهم وشبهاتهم، ولذا كان من مقاصدهم زعزعة الأمن، ونشر الذعر بين الناس والخروج على السلطان، والمبالغة والتهويل في ذكر المفاسد، ونشر مساوئ القائمين على أمور الناس، من أمراء وعلماء ووزراء، لا بقصد الإصلاح، فإن المصلح لا يكذب، بل المراد تهييج الغوغاء على سلطانهم، وحملهم على التمرد والخروج، مع ما يترتب على

---

١. زيادة ليتضح المعنى المراد الذي لا يظهر إلا بقراءة السابق لهذا النص مما لم أذكره.

٢. مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٠٠–١٠٣).

ذلك من مفاسد كبيرة، وجرائم خطيرة،وإشغال أجهزة الأمن عن متابعة الجرائم المعتادة.

ثامنا – شؤم الغلو على صاحبه:

إن أول وأعظم من يتأثر بالغلو صاحبه، نقصا في دينه، وفسادا في دنياه،ويظهر ذلك في الوجوه التالية:

١- أن بدعة الغلو – في أغلب صورها – شر من المعاصي الشهوانية،كما قال سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)[١]. وسبب ذلك أن المبتدع، ولاسيما الغالي يعتقد أنه على هدى ورشد ويشهد لذلك قول الله تعالى فيمن شاق الرسول، واتبع غير سبيل المؤمنين: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾[٢] قال ابن كثير:(أي إذا سلك هذا الطريق، جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره، ونزينها له)[٣]، وقال القاسمي:(أي نجعله والياً مرجحا ما تولاه من المُشاقّة، ومتابعة غير سبيلهم)[٤].

والنصوص الدالة على مروق الخوارج من الدين، شاهدة على خطورة الابتداع والغلو مهما أكثر صاحبها من العبادة، واشتط في الدعوة إلى تحكيم القرآن [٥].

قال ابن القيم:(والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظمها، فتنة الشهوات... ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه)[٦].

٢- حرمان النفس من العلم الصحيح، ويوضح ذلك العلامة صالح الفوزان بقوله:(لأننا إذا رجعنا إلى أفهامنا،دون أخذٍ للعلم من مصادره، وإنما نعتمد على قراءتنا وفهمنا، فإن الأفهام تختلف، والإدراكات تختلف، وبالتالي يكثر الاختلاف في هذه الأمور

---

١. شرح السنة للبغوي (١/ ١٨٨).
٢. سورة النساء، الآية: ١١٥.
٣. تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٨).
٤. محاسن التأويل (٥/ ١٥٤٥).
٥. انظر: مشكلة الغلو في الدين (١/ ٥٢).
٦. إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥).

المهمة، وديننا جاءنا بالاجتماع والائتلاف وعدم الفرقة، والموالاة لأهل الإيمان والمعاداة للكفار، فهذا لا يتم إلا بتلقي أمر الدين من مصادرها، ومن علمائها، الذين حملوها عمن قبلهم، وتدارسوها بالسند، وبلغوها لمن بعدهم، هذا هو طريق العلم الصحيح في العقيدة وفي غيرها)[1].

٣- تكليف النفس مالا تطيق، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:"عليكم من العمل ما تطيقون"[2].

٤- إلقاء النفس في التهلكة بغير إذن من الشرع، أو تعريضها لمخاطر أومشاق وعدم قبول رخصة الله فيها، قال ابن جرير بعد أن ذكر المعاني التي تندرج تحت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[3]: (فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ولم يكن الله – عز وجل – خص منها شيئاً دون شيء فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، أو الاستسلام للهلكة، وهي العذاب)[4].

٥- التفريط في حقوق واجبة من رعاية أهل، وتربية ولد، وصلة رحم، وحقوق جار؛ وذلك أن طاقة الإنسان محدودة، فتُستهلك فيما غلا فيه، ولذلك نهى النبي –صلى الله عليه وسلم – عبدالله بن عمرو عن المبالغة في العبادة وقراءة القرآن، وقال له:" إنك لتصوم الدهر، وتقوم الليل ؟!

فقلت: نعم، قال:" إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين[5]، ونفهت له النفس[6]، لا صام من صام الدهر)[7].

٦ – الإقامة في بلاد الكفار، وتعريض النفس والأولاد لفتن أكبر مما فر منها.

---

١. الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، ص: ١٠٣.
٢. رواه مسلم، صلاة المسافرين، فضيلة العمل الدائم، ح(٧٨٢)(١/٥٤٠).
٣. سورة البقرة. الآية: ١٩٥.
٤. تفسير الطبري(٣/٥٩٣).
٥. أي: غارت ودخلت في موضعها. النهاية في غريب الأثر(هجم)(٥/٢٤٧).
٦. أي: أعيت وكلت. المصدر السابق (نفه)(٥/١٠٠).
٧. رواه البخاري، كتاب الصيام، باب صوم داود، ح(٨٧)(٣/٨٩).

٧ – الانتكاسة بعد الهدى، والنكوص على العقبين، وهذا مشاهد، قال ابن المنير: (فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع)[١].

وعلق الحافظ ابن حجر على قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه "[٢] فقال: (المعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب)[٣].

هذه أبرز آثار الغلو وأضراره، مما تسمح به طبيعة هذا البحث المختصر، والقضية تحتاج إلى دراسات موسعة، من تخصصات مختلفة [٤].

* * *

---

١. فتح الباري (٩٤/١).
٢. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح(٣٨)(٢٨/١).
٣. فتح الباري (٩٤/١).
٤. للاستزادة انظر: مشكلة الغلو في الدين (٥٢/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المجتباة، دلنا على النجاة، وخرجنا به من الظلمات.

وبعد:

ففي خاتمة هذا البحث المختصر يحسن ذكر أبرز النتائج ثم التعقيب بذكر التوصيات

أولا – نتائج البحث:

١- تبين من خلال هذا البحث أن الغلو على ضوء الكتاب والسنة يعني تجاوز شرع الله، وتعدي حدوده، وعدم الاقتصار على هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبناء على ذلك لا يجوز الخلط بينه وبين المعاني الإسلامية الثابتة، كالزهد، والورع والبعد عن المتشابه، وكالغضب لله، والغيرة على محارمه.

٢- الغلو من البدع العظام التي تقود إلى المروق من الدين، وتنكب الصراط المستقيم، ثم إن من العسير التوبة منه، والتخلص من أوضاره.

٣- دين الإسلام وسط بين الأديان، وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الإسلام، وكل من جاوز الوسط وقع في الذم.

٤- أكثر مظاهر الغلو إحسان في القول، وإساءة في العمل، ومبالغة في جانب وتفريط في جوانب، واندفاع وراء عواطف، مع عدم مراعاة سنن الله الشرعية والكونية، ومقتضى الحكمة والعقل.

٥- الغلاة يسيئون للإسلام، ويشوهون صورته، ويعوقون مسيرة دعوته ويمكنون العدو من ضربه، كما أنهم يفسدون على العامة تدينهم، ويحملونهم على عزل أولادهم عن الفئة المتدينة خوفا عليهم من الغلو، والولوج في بوابة التكفير والتفجير.

٦- مفاسد الخروج على السلطان أكثر من مصالحه، وأضراره أكثر من منافعه، وقد ذاقت الأمة ويلات الخروج على السلاطين، كالخروج على عثمان –رضي الله عنه– ثم مقتله، وخروج الحسين بن علي – رضي الله عنهما – ثم مقتله، وخروج أهل المدينة على يزيد ابن معاوية، ثم مقتل كثير منهم، وخروج ابن الأشعث وجماعة من طلاب

العلم على الحجاج، ومقتل جلهم، وسجن الباقين، أو تشريدهم واختفائهم حتى وفاة الحجاج، وكذلك الفتن المتكررة في هذا العصر، التي لم تنصر دينا، ولم تبق دنيا.

٧ – للطوائف المخالفة لأهل السنة دور عظيم في إذكاء روح الغلولحمل الشباب على الخروج على سلطانهم، والتنكر لعلمائهم، ومن ثم يسهل ضربهم، والقضاء عليهم، وإضعاف دور أهل السنة والجماعة، والتمكين للبدع الغالية، وعبادة القبور.

٨– الغلاة يجهلون قاعدة عظيمة من قواعد أهل السنة والجماعة، وهي أنه لا تلازم بين فعل الكفر وقوله، وبين كفر فاعله وقائله المعين، فقديقع المسلم في الكفر، ولا يحكم بكفره حتى تقام عليه الحجة، وتتحقق فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، كما أنه لا يقام عليه حد الردة حتى يستتاب.

ثانيا – التوصيات:

١– تكثيف التوعية الدينية، وربط الأمة بالكتاب والسنة، وبمنهج أهل السنة والجماعة، وحمايتها من التيارات الوافدة، والدعوات المضللة.

٢– التنبه عند الرد على الغلاة إلى الفارق الكبير بين الغلو وبين طلب الكمال في الإيمان والعبادات، والبعد عن المشتبهات.

٣– إن إنكار ما هو ثابت في الدين أو الاستهزاء به من أعظم مداخل دعاة الغلو والتباكي على الإسلام، والتنادي للدفاع عنه، وإثارة الحمية الدينية، ثم جر الناس إلى باطلهم من حيث لا يشعرون.

٤ – مناقشة أرباب الفكر الغالي مناقشة علمية فيها بيان الحق، ورحمة الخلق وإزالة الشبهة، بعيدا عن التهويل، أو مجاراة الغلو بغلو، والتكفير بتكفير، وليكن رائدنا منهج الخليفة الراشد علي – رضي الله عنه – الذي حرص على توضيح الحق لمن قاتله من أهل النهر، وإرسال من يزيل شبهتهم، ولما انتصر عليهم، وسئل عنهم أهم مشركون ؟! فقال: من الشرك فروا، قيل: فمنافقون هم ؟! قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل له: فما هم ؟! قال:" قوم بغوا علينا "[1].

---

١. المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الجمل، باب ما ذكر في الخوارج (١٥/٣٣٢).

٥- ضرب الأيدي الخفية التي تغذي الغلو، وتقلب الحقائق، وترغب في اضطراب البلاد، وافتراق العباد.

٦- تقوية المرجعية العلمية لأهل السنة والجماعة من كبار علماء الأمة، ورفع شأنهم، والاعتداد بأقوالهم، وحمايتهم من كل ما يمس سمعتهم، حتى يكونوا حصنا واقيا للأمة - بإذن الله - من التفرق والابتداع.

٧- تذكير الشباب بأعداء هذه البلاد، وحرصهم على خلخلة الأمن، وزعزعة ثقة الناس بولاتهم وعلمائهم، طمعا في تقوية طوائفهم، ونشر مذاهبهم، وبسط نفوذهم، والنكاية بأهل السنة، وطمس معالم التوحيد.

٨- المبادرة بتنفيذ مشروع علمي متكامل، ينمي الولاء للدعوة السلفية، ويقطع الخط على أهل الغلو والبدع، وأعداء السلفية المباركة، ويحمي البلاد من التصدع ويتمثل هذا المشروع فيما يأتي:

أ - اختيار نخبة من أذكياء الشباب المتدين، ويعدون إعدادا علميا وأخلاقيا ودعويا حتى يتأهلوا للتعليم والإفتاء والقضاء في آن واحد.

ب - يكون الاختيار وفق شروط معينة، وممن يظهر عليهم الولاء للدعوة السلفية والإخلاص في ذلك، وبغض البدعة وأهلها، مع اتزان الشخصية وجاذبيتها، وبعدها عن الغرور، والإعجاب بالنفس.

ج - يعين في كل مدينة واحدا من هؤلاء - على الأقل - ويوكل إليه:

١ - القضاء.

٢ - إمامة الجامع الكبير فيها.

٣ - التعليم في هذا الجامع وفق آلية محدودة.

٤ - إفتاء أهل هذه المدينة، وفق مدرسة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

٥ - إلقاء محاضرات، وإقامة ندوات، تغرس الانتماء لأهل السنة والجماعة، وتبين حقيقة السلفية، وتحذر من أعدائها الذين هم أعداء الدولة، وأعداء البلاد.

وينبغي الاستفادة من الأخطاء السابقة، حيث نافح عن الدعوة السلفية أناس يجهلون طريقة تأليف القلوب، ويسعون إلى حمل الناس على كل الحق من غير تمهيد

أو تدرج، ويتعمدون تصيد الأخطاء، مع مبالغة في الحط من شأن المخالف، وانشغال بالجزئيات عن الكليات، مما أدى إلى نتائج عكسية من التنفير عن الدعوة السلفية، واتجاه الشباب إلى تلقي العلم من مصادر أخرى، لا يخفى ما فيها من غثائية أو بدعة.

د – إنشاء أمانة لهذا المشروع، ترتبط بهيئة كبار العلماء، تضع الخطط، وتنفذ العمل، وترعى الأفراد، وتمدهم بما يحتاجون إليه مما يعينهم على أداء مهمتهم، وينبغي أن لا يكون أهل الباطل أكثر جلدا، وأقدر على التنظيم، وأكثر حماسا في نشر باطلهم، والله تعالى يقول: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[1].

إنني على يقين بأن هذا المشروع العلمي سيكون عاملا كبيرا في اتحاد الكلمة، والولاء لولاة الأمور، ويحقق مصالح كبار، قد لا نتفطن لها إلا بعد فوات الأوان، وعندما نكتشف الغزو الهائل لأعداء السنة، وقدرتهم على إيغار الصدور، والصد عن الدعوة السلفية، وعن منهج النبوة.

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث المختصر، وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه، ونافعا لعباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

---

1. سورة النساء، الآية: ١٠٤.

ثبت المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، طبعة عام ١٤٢٦هـ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف /المدينة المنورة.

٢- الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، للشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان. إعداد: محمد الحصين، ط٢، ١٤٢٥هـ.

٣- أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، تحقيق: علي البجاوي، طبعة عام ١٣٩٤هـ الناشر: دار الفكر / بيروت.

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي، الناشر: مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٥- الإرهاب آفة العصر، د. عقيل العقيل، ط١، ١٤٢٥هـ.

٦- الإرهاب دوافعه وعلاجه، د. محمد الشويعر، ط٢، ١٤٢٥هـ.

٧- الإرهاب يسيطر على العالم، د. خالد عبيدات كتاب الكتروني على الموقع:

http://www.wata.cc/forums/showthread.php?١٥٥٦٧

٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. ط٢، ١٤٠٥هـ، الناشر: المكتب الإسلامي / بيروت.

٩- الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، ط١ عام ١٣٣٢هـ المكتبة التجارية الكبرى / مصر.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، تحقيق عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث / القاهرة.

١١- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة عام ١٣٥٨هـ، دار المعرفة / بيروت.

١٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، ط٥، ١٤١٥هـ، دار المسلم / الرياض.

١٣- بذل المجهود في حل أبي داود، لخليل أحمد السهانفوري، دار الكتب العلمية / بيروت.

١٤- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، ١٤٠٠هـ، دار الفكر.

١٥- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر / تونس.

١٦- التفجيرات والاغتيالات -الأسباب -الآثار -العلاج. د. مصطفى السليماني، ط١، ١٤٢٥ هـ دار الفضيلة/ الرياض.

١٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ، الناشر: دار المعرفة / بيروت.

١٨- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ط٢، ١٣٩٥ هـ الناشر: دار المعرفة /بيروت.

١٩- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط١، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية /بيروت.

٢٠- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرين، طبعة عام ١٣٨٤هـ، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

٢١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله محمد بن عبد الوهاب، ط٣، عام ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.

٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي). تأليف: عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، ط١، ١٤٢١هـ مؤسسة الرسالة /بيروت.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ط٢، الناشر: دار المعارف بمصر. ط٣، ١٣٨٨ هـ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، ط٢، ١٣٧٢ هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٢٥- جمهرة اللغة لأبي بكر ابن دريد، تحقيق د. رمزي بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م دار العلم للملايين / بيروت.

٢٦- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات، لبكر بن عبدالله أبو زيد، ط٢، ١٤١٠ هـ، دار ابن الجوزي / الدمام.

٢٧- الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، تعليق: علي حسن الحلبي، ط١، ١٤١١ هـ، دار ابن الجوزي / الدمام.

٢٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبدالله التركي، ط١، ١٤٢٤ هـ، مركز هجر للبحوث /القاهرة.

٢٩- رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع، أ.د.ناصر العقل، ط٢، ١٤٢٣، دار الوطن للنشر/الرياض.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي، طبعة عام ١٤٠٨هـ، دار الفكر/ بيروت.

٣١- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي ط٤، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.

٣٢- السنة، للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط٢، ١٤١٤ هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

٣٣- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: المكتبة التجارية / مكة المكرمة.

٣٤- سنن أبي داود، للإمام أبي داود السجستاني، مراجعة و ضبط: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، دار الفكر / بيروت.

٣٥- السنن الكبرى للإمام البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، ١٤١٤ هـ دار الكتب العلمية / بيروت.

٣٦- سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ط١، ١٣٧٣هـ دار الكتب العلمية / بيروت.

٣٧- شرح السنة لأبي محمد البغوي، تحقيق: علي محمد عوض و عادل أحمد عبدالموجود، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

٣٨- شعب الإيمان للإمام البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ط٢، ١٤٢٩ هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

٣٩- الصاحبي في فقه اللغة العربية، لأحمد بن فارس الرازي، تحقيق: د. عمر الطباع، ط١، ١٤١٤هـ، مكتبة المعارف / بيروت.

٤٠- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة عام ١٤١١هـ، المكتبة العصرية / صيدا.

٤١- الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٣، ١٤٠٤هـ، دار العلم للملايين / بيروت.

٤٢- صحيح البخاري، ط٥، ١٤٠٦هـ عالم الكتب / بيروت.

٤٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته ((الفتح الكبير))، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤٠٦ هـ المكتب الإسلامي / بيروت.

٤٤- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، ١٩٧٢م، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٤٥- صحيح مسلم بشرح النووي، ط١، ١٣٤٩هـ، المكتبة المنصورية / القاهرة.

٤٦- ضعيف الجامع الصغير وزياداته ((الفتح الكبير))، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامي / بيروت.

٤٧- ظاهرة الإرهاب المعاصر: طبيعتها وعواملها واتجاهاتها، د. مصلح الصالح، طبعة عام ١٤٢٣ هـ الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية / الرياض.

٤٨- ظاهرة الغلو في الدين، إعداد: عبود بن علي بن درع، ط١، ١٤١٩هـ، دار الصميعي للنشر / الرياض.

٤٩- ظاهرة الغلو والتكفير، الأصول، والأسباب، والعلاج، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع / الرياض.

٥٠- العواصم من القواصم، لأبي بكر ابن العربي، طبعة عام ١٤١٩هـ الناشر وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

٥١- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، ١٤٠٥هـ، دار البشير / عمان.

٥٢- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، تحقيق عبدالكريم العزباوي طبعة عام ١٤٠٣ هـ، الناشر: جامعة أم القرى / مكة المكرمة.

٥٣- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، لعبدالرحمن اللويحق، ط١، ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة / بيروت.

٥٤- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض.

٥٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني تحقيق أحمد عبد السلام ط١، ١٤٢٨هـ الناشر: المكتبة العصرية / جدة.

٥٦- قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين بن علي الحربي، ط١، ١٤١٧هـ دار القاسم / الرياض.

٥٧- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت.

٥٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم الزمخشري، طبعة عام ١٣٩٢هـ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥٩- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، تصحيح: نخبة من علماء اللغة، ط٢، الناشر: دار صادر / بيروت.

٦٠- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تعليق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة / بيروت.

٦١- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، ط١، ١٣٧٦هـ، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية / القاهرة.

٦٢- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، طبعة عام ١٤٠٤هـ، الناشر: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٦٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

٦٤- مدارج السالكين، لأبي بكر ابن قيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية / بيروت.

٦٥- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي، ط١، ١٤٠٦هـ إشراف د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة / بيروت.

٦٦- المسند للإمام أحمد بن حنبل، ط٥، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.

٦٧- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٨- المصنف لأبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد الندوي وآخرين، ط١، الناشر: الدار السلفية / بومباي، الهند.

٦٩- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.

٧٠- معالم التنزيل للإمام البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، ط١، ١٤٠٩هـ، دار طيبة / الرياض.

٧١- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية / قم.

٧٢- المعجم الوسيط، تأليف: د. إبراهيم أنيس وزملائه، بدون تأريخ ولا دار نشر.

٧٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة / بيروت.

٧٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: دار إحياء الكتب العربية / القاهرة.

٧٥- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض.

٧٦- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، عناية: عبد الله دراز وآخرين، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

٧٧- موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب، د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط١، ١٣٨٣هـ.

* * *